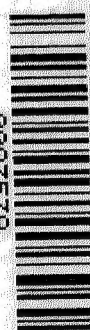
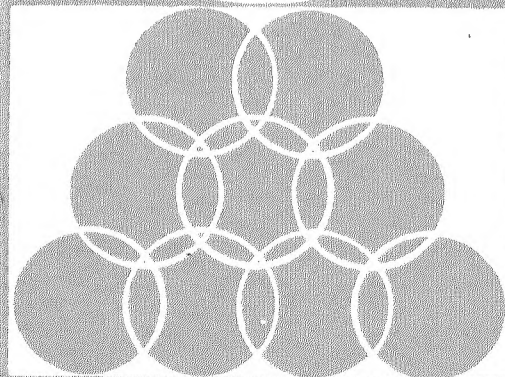
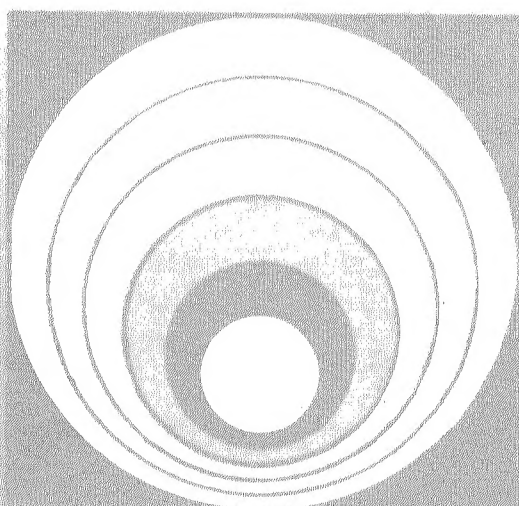


زِينْبُ

«ع»

الْقُدُوةُ وَالرَّمْزُ



Bibliotheca Alexandrina

زَيْنَبُ
«ع»
الْقُدُوقَةُ وَالرَّمْزُ

سَعِيدُ الْحَوْلِيِّ

زِينَةُ «ع» القُدَّةِ وَالرَّمَزِ

كَلَامُ الْمَلِكِ الْعَبَّاسِ
الطَبَاعَةُ وَالنَّشْرُ وَالنَّوْصِيحُ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



الرويس - خلف سنتر محفوظ وحجازي - نهاية محمد الزين
ت ٨٢١١٤٢ - ٨٢٣٥٢٦ / ٧ / ٨ - ٨٢٣٠٨٩ ص . ب ٢٥ / ٩٧ و ١١٣ / ٥٧٨٩ بيروت لبنان

دار البيان العربي



الاهداء

إلى علّة الكون وسرّ بقائه
إلى مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا الله .
إلى النور المبين والصراط المستقيم .
إلى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . . إلى الخمسة أصحاب
الكساء . إلى محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم أفضل الصلاة
والسلام . . راجياً منهم القبول . .

«فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تمت وحيناً»

الخوراء زينب (ع)

المقدمة

المرأة أفتك أسلحة الهدم كما هي أمضى أسلحة البناء !! فهي سلاح الهدم اذا ما تفاعلت مع موجة التسبب الأخلاقي والانفلات الديني الذي اجتاح كثيراً من بلادنا الاسلامية هذا اليوم .

وهي سلاح الهدم اذا ما انجرت وراء الصيحات الزائفة المنادية بتحرر المرأة من القيود الدينية والأخلاقية التي تحافظ على توازن المجتمع .
وهي سلاح الهدم اذا مارضت بأن يكون جسدها سلعة رخيصة للدعاية والأعلان ولتسويق بضائع الأجنبي .
وهي سلاح الهدم اذا مارمت بحجابها جانباً لأنه وكما صوره المغرضون لها ليلٌ بهيم وشيء قديم حيث يقول شاعرهم : جميل صدقي الزهاوي

أسفري فالحجاب يابنة فهر هو داءٌ في الإِجتماع وخيمُ
كل شيء الى التجدد ماضٍ فلماذا يُقر هذا القديم
أسفري فالسفور للناس صبحٌ زاهر والحجاب ليلٌ بهيم .

فهي سلاح الهدم لأنها تتحول إلى بُثر الفساد ، ومناطق التوتر في المجتمع وهي سهم ابليس الصائب (كما في الحديث) .

وكما انها تمثل افتك أسلحة الهدم اذا ما تمثلت في هذه الصور، فهي أمضى أسلحة البناء اذا ما استفادت بنور الدين والأخلاق والفضيلة وهي سلاح البناء اذا ما تركت مطارحة الرجال في المعمل والمصنع لتتخذ من بيتها مركزاً لتنشئة أبناءها التنشئة الاسلامية .

وهي سلاح البناء اذا ما تحولت الى مدرسة تُعد جيل الغد المرتوي من فيض تعاليم الاسلام وآدابه كما يقول الشاعر :

الأم مدرسةً اذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق^(١)

فالمرأة لها هذه المكانة الحساسة ، اذ هي سلاح ذو حدين ولهذا أصبحت المرأة في مجتمعنا هي اول المستهدفين من قبل المستعمر فاذا فسدت المرأة فسد المجتمع ، واذا صلحت صلح المجتمع وبقدر ما فهم الغرب اهمية المرأة وتأثيرها في المجتمع، فقد جهل المسلمون المكانة ذاتها ، فهُمّش دورها ، وأُغفلت في شتى جوانب الحياة ، حتى تعيش الفراغ الذي حدى بالغرب للدخول لها من هذا الباب .

(١) الاخلاق الاسلامية الحسيني ص (٢٩٣)

فالمراة في مجتمعنا بعيدة كل البعد عن المشاركة في الأنديه الفكرية والثقافية والاجتماعية ، وليس لها حق تقديم الحلول لبعض مشاكل المجتمع باعتبارها نصفه الآخر ، وليست لها فرصة التصدي والتأليف وحرية التعبير، وليست هناك الكاتبة والشاعرة والمجتهدة والفقيهة والخطيبة ، اللهم إلا ، بل ليست هناك من تقف لتؤم النساء في صلاة الجماعة كأُم ورقة في زمن الرسول (ص) .

ونظراً لهذا الإغفال الذي اتخذ تبريرات شرعية ربما بسبب النظرة السطحية لتعاليم الدين ، تتزايد الحاجة إلحاحاً للنظر الى سيرة الطاهرات اللاتي طهرهن الله من الرجس والدنس وهن نساء اهل البيت (ع).

فخديجة (ع) لم تأل جهداً ولم تدخر راحة في سبيل نشر الاسلام والوقوف مع الرسول (ص) من اجل نشر رسالة السماء ، فبذلت كل ما في وسعها من اجل ذلك ، حتى قضت نحبها متأثرة بسياط التعب والجوع التي تحملتها على اثر المحاصرة الاقتصادية في شعب ابي طالب .

الزهراء (ع) لم تتردد لحظة في الدفاع عن العقيدة والمبدأ حيث وقفت مع أمير المؤمنين بعد رحيل الرسول (ص) لتحافظ على الدين من التزوير ، وقد ألفت تلك الخطبة العظيمة التي سجلها لها التاريخ .

وكما شاركت خديجة الرسول (ص) ، والزهراء أمير المؤمنين (ع) فقد شاركت ابنتهم الحوراء زينب سلام الله عليها الامام الحسين (ع) في الحفاظ على الدين وحيائه بعد أن أوشكت معاملة على الزوال ، وبحق لولا زينب لما سمعت بالإسلام هذا اليوم ، وإن قال محمد عبده الكاتب المصري : «لولا الحسين لما بقي للدين اثر» فأني أقول «لولا زينب لما أصبحت هذه المقولة حقيقة في حق الحسين ، فهي التي استمدت جهود الحسين ، وقطفت ثمار ثورته وتابعت مسيرته الرائعة في ارساء قواعد الإسلام .

من هذا المنطلق ، احببت أن أسلط الضوء على حياة الحوراء زينب (ع) المليئة بدروس الجهاد والتصدي ، ولتكون قدوة حية متجسدة امام المرأة المسلمة ، ولتكون دليلاً قاطعاً لاعوج فيه على اهمية ادخال المرأة في الساحة العملية والمشاركة الفعلية لقضايا المسلمين .

وقد عكفت رديحاً من الزمن على دراسة حياة الحوراء زينب (ع) واستقصاء أخبارها في كتب السير وأغلب مآلف فيها من كتب، فوجدت ان جُل تلك الكتب تتحدث عن حياتها كسرد تاريخي من دون تفعيل مواقفها وتجسيدها كامرأة حاضرة وقدوة ماثلة أمام نساء أمتنا .

فإذا مأخذت أي كتاب من الكتب التي ألفت حولها تجد أن الكتاب يبدأ بنسبها الطاهر ، وينتهي بقبرها والاختلافات فيه .

وقد حاولتُ أن تكون منهجية هذا الكتاب مغايرة لذلك ، فبالإضافة الى ذكر بعض أخبارها التاريخية ، أُحاول تمثيل تلك الاخبار الى واقع يُعالج مشكلاتنا بشكل عام ، ومشكلات المرأة بشكل خاص ، وإياه أسأل أن يوفقني لما فيه الخير والصلاح .

١٤١٣/١١/٥ هـ .

- الفصل الاول -

زينب في اصلاّب الانبياء
زينب في بيت العصمة
زينب في مجتمع المدينة
زينب والتجارب الاولى

زينب في اصلااب الأنبياء

لاشك أن كل أب وأم يتمنون السعادة لأبنائهم ، ويطمحون لأن يكون أولادهم من العظماء، والمصلحين في هذه الحياة ، بل حتى الأبوين المنحرفين يتمنون لو أن أولادهم ساروا على غير طريقتهن .

فالأب حينما يسرق لا يتمنى أن يكون ابنه سارقاً ، والأب حينما يكون مدمناً على المخدرات لا يتمنى أن يكون ابنه كذلك ، والأم حينما تكون منحرفة تكره لأبنائها هذا الانحراف .

فكل أب وأم يتمنون أن يكون أبنائهم في القمة ، ومن عظماء المجتمع ومصلحيه إلا أن ذلك لا يتأتى بالأمنيات فحسب ، بل أن هناك برنامجاً عملياً دقيقاً يضعه الاسلام لتنشئة أبناءه ليكونوا في طليعة العظماء والمغيرين .

فالاسلام يركز على ان تختار الأم أباً مؤمناً ملتزماً حسيباً من اللحظة الأولى وقبل الاقتران ، كما يركز الاسلام أن يختار الأب أمّاً نجيبة ومن معادن الفضل

وهكذا يشير القرآن الكريم حيث يقول ﴿الخبثات للخبثين والخبثون للخبثات ، والطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات﴾^(١).

وهكذا أشار الرسول (ص) حينما قال (تزوَّجوا في الحجز الصالح فإن العرق دساس)^(٢) فقانون الوراثة يُعتبر اللبنة الأولى التي تحدد مجمل الخصائص والمؤهلات لهذا المولود، ولهذا يرد النهي من الشريعة الإسلامية عن أن يكون الاقتران بالمرأة لجهلها اذا كانت بعيدة عن الأخلاق والدين حيث يقول الرسول (ص) «إياكم وخضراء الدِّمن ، قيل يارسول الله وماخضراء الدِّمن قال المرأة الحسناء في منبت السوء»^(٣).

كما يرد النهي على أن يكون الاقتران بالرجل لأمواله وجاهه وان كان شارباً للخمر كما في الحديث «من زوّج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها»^(٤).

ولهذا يركز الاسلام أشد تركيز على قانون الوراثة ، وأخذ به بعين الاعتبار قبل العقد والزواج ، ويركز على أن يكون الدافع الأول لاختيار الرجل أو المرأة

-
- (١) سورة النور آية (٢٦) .
 - (٢) ميزان الحكمة المجلد الرابع ص (٢٨٠) .
 - (٣) بحار الأنوار جزء (٢٣) ص (٥٤) .
 - (٤) وسائل الشيعة - للحر العاملي جزء ٩/٥ .

هو الدافع الديني حيث يقول «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه»^(١) ويقول «عليك بذات الدين تربت يداك»^(٢).

ولهذا فإن الرسول الأعظم (ص) كان بعيد الغور ، دقيق النظر حينما كان يرفض تزويج بضعته الزهراء (ع) من كل من تقدم لها من أشرف العرب وأثريائهم ووجهائهم ، لأنه كان يريد الكفوء الذي يضاهي الزهراء بكل ماتحمل من عظمة وإيمان ومؤهلات ، وليكون أبناؤها العطاء والخلفاء لله في أرضه .

ولم يكن يباري الزهراء (ع) في عظمتها إلا أمير المؤمنين (ع) الذي لا يستطيع منصف أن يتجاهل إيمانه وكفاءته ومكانته من الرسول (ص) اذ هو بمثابة «الضوء من الضوء والذراع من العضد وهو القمة السامقة التي ينحدر منه السيل ولا يرقى إليه الطير ، وبسيفه قام الدين وبحسامه بُني الإسلام كما يقول الشاعر :

بُني الدين فاستقام ولولا ضرب ماضيك ما استقام البناء .

ولهذا أشار الرسول (ص) حيث قال «لولم يخلق الله علياً ما كان لفاطمة كفاء»^(٣) وهكذا يأتي النداء من السماء للرسول الأعظم أن زوج النور من النور فالله تبارك

(١) بحار الأنوار جزء (١٠٣) ص (٣٧٢) .

(٢) ميزان الحكمة المجلد الرابع ص (٢٧٧) .

(٣) فضائل الإمام علي محمد جواد مغنية ص (٢٢) .

وتعالى من فوق عرشه ، هو الذي ابتداء بتزويج امير المؤمنين من فاطمة الزهراء (ع)^(١)

وتشاء ارادة السماء أن يختار الله للحوراء زينب سلام الله عليها والأئمة الطاهرين (ع)، وهم لا يزالون أنواراً في صلب أمير المؤمنين (ع) أفضل وأعظم مستودع من النور وهي فاطمة الزهراء (ع)، ولئن جعل الله تبارك وتعالى الجنة مستودعاً لفاطمة الزهراء (ع) حفظها فيها ملايين السنين، حيث انه لما خلق آدم جعل نور الأنبياء والرسول الأعظم (ص) وأمير المؤمنين (ع) في صلب آدم، أما نور فاطمة الزهراء (ع) فانه لم يكن في صلب آدم، بل كان في الجنة محفوظاً.

وجاءت رحلة الاسراء والمعراج لتكون سبباً لئن يأكل الرسول (ص) من رطب الجنة ، وليتحول الى نور فاطمة في صلبه ، ومعنى آخر ولتكون هدف رحلة الاسراء والمعراج هو أن يهبط الرسول (ص) بنور فاطمة (ع) الذي حفظه الله في الجنة ملايين السنين ..

أقول وان كان الله قد جعل الجنة مستودعاً للزهراء (ع)، فقد جعل الزهراء مستودعاً للحوراء زينب (ع) .

وهكذا تتقلب الحوراء زينب (ع) وهي نور في أصلاب الأنبياء من صلب الى صلب فهي نور من نور الرسول وأمير المؤمنين (ع) تتقلب في الأصلاب الشاخنة

(١) جزء (٤٣) ص (١٢٣) حديث خباب بن الارت ودلائل الإمامة ص (١٢) والمناقب لابن شهر آشوب جزء (٣) ص (٣٤٨) .

والأرحام المطهرة ، فلم يكن يحمل ذلك النور قط مشرك أو كافر ، بل كان يحمله كل موحد وعابد لله رب العالمين حيث يقول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﴿وتقلبك في الساجدين﴾^(١) ، أي من صلب مؤمن الى صلب موحد وكما قال الرسول (ص) «مازلت أتنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام المطهرات حتى اخرجني الله تعالى في عالمكم هذا»^(٢) . ومازال ذلك النور ينحدر من سلالة الأنبياء والطاهرين حتى يصل الى عبد المطلب ثم ينفلق ذلك النور الى نورين ، نورٌ ينحدر في عبد الله وهو نور الرسول (ص) ، ونورٌ ينحدر في أبي طالب وهو نور أمير المؤمنين(ع) ثم الحوراء زينب والأئمة الطاهرين(ع) .

أقول ومازال نور الحوراء زينب (ع) يتقلب في اصلاب الأنبياء من صلب إلى صلب حتى صلب أمير المؤمنين (ع) ، ثم يُستودع في أعظم وأطهر مستودع وهو فاطمة الزهراء (ع) .

وهكذا وطبقاً لقانون الوراثة حيث «يكتسب الأبناء صفات الآباء من دون الحاجة إلى أي نشاط إرادي منهم»^(٣) تكون الحوراء زينب(ع) قد ورثت كل صفات العفة والطهارة والإيمان والشجاعة والفصاحة من أمها الزهراء وأبيها أمير المؤمنين(ع) وجدها الرسول الأعظم (ص) فخرجت امرأة شائخة العلو ، سامقة الرفعة ، لا يباريها أحدٌ من نساء العالمين في عقلها الراجح وإيمانها العميق ونفسها الأبية وذكاؤها الخارق .

(١) سورة الشعراء آية (٢١٩) .

(٢) أجداد رسول الله - محمد علي أسبر ص (٩) .

(٣) الطفل بين الوراثة والتربية محمد تقى فلسفي ص ٥٧ .

زينب في بيت العصمة

البيت الصغير الذي يجثو على قارعة الطريق الرئيسي الموصل الى مسجد
الرسول في المدينة المنورة يبدو في عيون الآخرين وكأنه القصر العملاق الذي
تتزاور حوله البيوتات الصغيرة المتراسة تحت عتباته الأبهة .

انه لم يكن قصراً وليس فيه من متاع الدنيا والأبهة شيء فهو كما صوره
الشاعر بيت متواضع حيث يقول :

وبيتك وهو غني بما حوته جوابه الأربع
فزاوية منه فيها الحصر الى جانبه جرة توضع
وأخرى بها من جريد النخيل سرير قوائمه ترفع
وآنية الطين وهي الكؤوس وفي يد مالکها تصنع
وتلك رحي مجلت راحة لطحن الشعير بها تسرع

فهو بيت متواضع إلا أنه في قمة العظمة حتى كأنه القصر العملاق
الشامخ حيث يضم أفضل من مشى على الأرض بعد رسول الله (ص) الذين

أوصى الله بمودتهم حيث قال في كتابه ﴿... قل لا أسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى...﴾^(١).

والذين أخرجهم الرسول الأعظم (ص) يباهي بهم نصارى نجران ، كما أخرج ذلك الترمذي وصححه الحاكم في المستدرک وصححه عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية ﴿... فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام وقال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي» .

وهو البيت الذي جعل الله أهله أماناً لأهل الأرض من أن تميد بهم حيث أخرج أحمد عن أنس قال : قال رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فاذا ذهب أهل بيتي ، جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون .

وقال أحمد في المناقب ان الله خلق الأرض من اجل النبي (ص) فجعل دوامها بدوام اهل بيته وعترته^(٢) .

وهو البيت الذي أشار الرسول (ص) الذي لا ينطق عن الهوى الى أهله

(١) سورة الشورى آية ٢٣ .

(٢) يتابع المودة ص ١٩ .

بأنهم سفينة نوح ، كما في مشكاة المصابيح عن أبي ذر رضي الله عنه انه قال وهو أخذ بباب الكعبة سمعت النبي (ص) يقول (ان مثل اهل بيتي فيكم ، مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق) .

وكيف لا وهم آل الرسول(ص)الذين معرفتهم برأته من النار وحبهم جوازاً على الصراط كما أخرج ذلك الحموي في كتاب «فرائد السبطين» حيث قال : (رأيت بخط جدي شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن حموية بن محمد الحموي الحسن بن احمد السمرقندي ، عن علي بن أحمد البخاري ، عن ابي بكر محمد بن ابراهيم البخاري عن الامام ابي بكر اسحاق الكلابادي البخاري ، عن عبد الله بن محمد ، عن محمد بن عبد الله ، عن محمد ابن عثمان البصري عن محمد بن الفضل عن محمد بن سعد ابي طيبة ، عن المقداد بن الأسود قال : قال رسول الله (ص) : «معرفة آل محمد برائة من النار ، وحب آل محمد جواز على السراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب» وهذا الحديث مذكور في جوهر العقدين ومسطور في كتاب الشفاء .

وهو البيت الذي كان رسول الله(ص)، ولم يزل حتى قضى نحبه ، سلماً لمن سالم أهله ، وحرباً لمن حاربهم كما ذكر ذلك الهندي في كتاب كنز العمال حيث روى عن ابي هريرة أن رسول (ص)قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام «أنا حربٌ لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم»^(١).

(١) كنز العمال - ج ١٢ - رقم ٣٤١٦٤ .

وكما روى الهندي عن ابن عساكر عن جابر قال : قال رسول الله (ص) : (ان لكل أب عصبة ينتمون اليها ، إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ، ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم احبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله)^(١) .

وكيف لا يكون مبغضهم بغضاً عند الله ، وقد نطق القرآن صراحة ، وبما لا يدع مجالاً للشك بتطهيرهم من الرجس تطهيراً حيث قال تعالى ﴿... انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(٢) .

إشكال ورد :

ورب قائل يقول إن هذه الآية وردت في نساء النبي وهم أهل بيته الذين وردت في فضلهم الأحاديث ، إلا أن ذلك لا يثبت أمام الأدلة العقلية والمنطقية والنقلية التي تفيض بها كتب الأحاديث وأرباب السير ، فأهل البيت المقصودون في هذه الآية هم علي وفاطمة والحسن والحسين والأدلة على ذلك كثيرة .

١ - الدليل اللغوي : وهو أن القرآن الكريم ، وهو معجزة العصر

(١) كنز العمال - ج١٢ - رقم ٣٤١٦٨ .

(٢) الأحزاب (٣٣)

ببلاغته الوافرة لا يمكن أن يتحدث عن نساء النبي ، ثم لا يأتي بنون النسوة ، إذ أن ذلك يكون خطأ لغوياً صريحاً ، فهو عندما يتحدث عن نساء النبي دائماً يأتي بنون النسوة كما في قوله ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء...﴾^(١) وكما في تعالى ﴿يانسأ النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين...﴾ وكما في قوله ﴿عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجاً خيراً منكن...﴾ وقوله ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾^(٢) فلماذا يأت بنون النسوة في هذه الآيات؟ مما يدل على أن هذه الآية بعيدة كل البعد عن نساء النبي ، وان كانت قريبة من الناحية الهندسية للآيات إلا أن ذلك لا يُعتد به . فالقرآن دائماً يتخذ أسلوب الاشارات الخاطفة متنقلاً من موضوع إلى موضوع كما هو واضح في جميع السور .

٢ - الدليل العقلي : وبعيداً عن الأهواء والشهوات والميول النفسية والعاطفية ، لا يمكن أن تكون هذه الآية نازلة في نساء النبي ، اذ أن نساء النبي تختلف سيرتهن من واحدة الى أخرى بل قد ورد القرآن بزم بعضهن صراحة كما في سورة التحريم حيث يقول ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ، تبغني مرضاة أزواجك والله غفورٌ رحيم﴾^(٣) ، وكما يقول بعد ذلك ﴿ان تتوبا الى

-
- (١) سورة الأحزاب اية ٣٢ .
 - (٢) سورة الأحزاب اية ٣٠ .
 - (٣) سورة التحريم اية ٥ .
 - (٤) سورة الأحزاب اية ٣٤ .
 - (٥) سورة التحريم اية ١ .

الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهر عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير^(١) ثم يرغب لرسوله طلاقهن كما في الآية اللاحقة حيث يقول ﴿عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجاً خيراً منك ، مسلمات مؤمنات ، قانتات ثابتات عابدات سائحات ، ثيبات وأبكارا^(٢)﴾ .

فعسى ترد للتحضيض والترجي كما يصفها اللغويون ، ثم أنه من الناحية العقلية لو كانت الآية واردة في نساء النبي لكان من المحير للعقل أن يبدله الله أزواجاً خيراً منهن ، فاذا كن طاهرات من الرجس تطهيراً ، فليس هنالك من هن أطهر منهن ليبدله الله تبارك وتعالى بهن ، اذاً فالآية لم ترد في نساء النبي .

٣ - الدليل النقلي : تواترت كتب المسلمين على اختلاف طوائفهم ومشاربهم على أن هذه الآية نازلة في علي وفاطمة والحسن والحسين(ع).

كما أخرج ذلك الحاكم في المستدرک وصححه في الحديث عبد الله بن جعفر في سبب نزول هذه الآية قال : لما نظر رسول الله (ص) إلى الرحمة هابطة قال : ادع لي ، ادع لي ، فقالت صفة من يارسل الله ، قال : اهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين ، فجئى بهم ، فألقى عليهم النبي كساءه ، ثم رفع

(١) سورة التحريم آية ٤ .

(٢) سورة التحريم آية ٥ .

يديه فقال : اللهم هؤلاء آلي ، فصل على محمد وآل محمد ، فأنزل الله عز وجل
﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ .

وقد نقل الامام أحمد بن حنبل في مسنده في الجزء الأول ص ٢٠٠ عن
محمد ابن أبي بكر ، عن ثابت ابن عماره ، عن ربيعة بن شيان انه قال
للحسن بن علي : ما تذكره من رسول الله (ص) فقال : أدخلني غرفة الصدقه
فأخذت منه ثمرة فألقيتها في فمي ، فقال (ص) ألقها ، فانها لا تحل لرسول
الله ، ولا لأحد من أهل بيته^(١) .

وهذا الحديث يوضح صراحة من هم أهل البيت وفضلهم ومكانتهم عن
سواهم ، ففي الوقت الذي ينهى الله عن تحصيل رضا زوجاته اذا ما تعارض
مع قضايا التشريع ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة
أزواجك﴾ ، يؤكد على أن رضا الله من أهل البيت ، كما يشير الى ذلك الامام
الحسين (ع) حيث يقول : رضا الله ، رضانا اهل البيت ، نصبر على بلائه
فيوفينا أجور الصابرين^(٢) .

وكما أشار إلى ذلك جده الرسول من قبله حيث قال : (يا فاطمة إن الله
يرضى لرضائك ، ويغضب لغضبك)^(٣) .

(١) مسند أحمد بن حنبل - ج ١ - ص ٢٠٠ .

(٢) المفيد في ذكر السبط الشهيد عبد الحسن العاملي ص ٤٦ .

(٣) بحار الأنوار المجلسي - ج ٤٣ - ص ١٩ .

فلا يستطيع منصف بعد هذا أن ينكر الفضل العظيم لأهل البيت ، بعد أن نطق به القرآن وتواترت كتب الرواة في مناقبهم برغم اختلافهم .

وهكذا يأذن الله لهذا البيت ، أن يرتفع ويُذكر فيه اسمه^(١) ، ليرتفع على قصور الفرس والروم شموخاً ورفعة ، وليكون البيت الذي يختاره الله للحوراء زينب (ع) لتلقى فيه فيض النبوة ونور الرسالة وتربية الآل (ع) . وهكذا تمر ساعات الترقب بطيئة على هذا البيت الشامخ ، وهم ينتظرون الحوراء زينب (ع) والبشرى تطفح على محياهم والناس حول البيت في انتظار ولهفة ، وكأنهم يَطُوفُونَ بالبيت العتيق .

حتى اذا حانت ساعة الصفر من الولادة ، وخرجت الحوراء زينب (ع) بكل نورها وجهالها واشراقها ، تلك الاشراقة التي آذنت بشروق شمس الاسلام وافول دولة الكفر فيما بعد .

وهكذا يتوافد المسلمون من كل صوب ، وهم يزفون البشرى لأُمير المؤمنين (ع) والزهراء والحسن والحسين (ع) ، وليخلد التاريخ هذا اليوم في

(١) ذكر السيوطي في تفسيره الدر المنثور في تفسير آية (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) في سورة النور اية (٣٦) ان الرسول (ص) قال هذه اية وردت في بيوت الانبياء فقام اليه ابو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها! بيت علي وفاطمة قال نعم من افاضلها .

صفحات المجد والخلود ، فهو اليوم الخامس من شهر جمادى الأول للسنة الخامسة للهجرة . وتفتح هذه المولودة عينيها في أقدس حجر في ماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها ، وهو حجر أمها الزهراء(ع) ، وتضمها الزهراء(ع) في شوق وإبتهاج لتلفها بشلال الحنان المتدفق من قلبها الرؤوم ، ثم تحملها بكل رفق ولين إلى والدها بطل الاسلام الخالد أمير المؤمنين (ع) فتقع عيناه الكريمتان على محياها ، فيأخذها الى صدره ، ويضمها في شوق واستعبار ، إلا أن أحداً لم يعرف سر تلك العبرة التي خنقت أمير المؤمنين (ع) وهو يضمها الى صدره والعرق يتحلبه ، ويلف البيت صمّت رهيبٌ ، فتحاول الزهراء(ع) أن تبدد ذل الصمت لتعيد للحسين(ع) بهجتهم بأختهم المولودة فتقول : يا أمير المؤمنين سمها فيجيب : ما كنت لأسبق الرسول في ذلك .

وهكذا ينتظرون عودة الحبيب المصطفى من أوبة السفر ، حتى اذا ما تنهى الخبر إلى سمع الرسول(ص) ، يعود حثيث الخطى يشده الشوق إلى منزل بضعته الزهراء(ع) ، وكعاداته في كل عودة لا يهدأ من وعشاء السفر حتى تكتحل عيناه برؤية الزهراء(ع) فهي روحه التي بين جنبيه كما قال (فاطمة روعي التي بين جنبي) ، ويصل الرسول الأعظم إلى هذا المنزل العظيم ، تزفه جموع المسلمين وكلهم يحاول أن يسترق النظر بصحبة الرسول إلى هذه النبتة التي باتت تبث عطرها في هذا البيت الرفيع .

ويدخل الرسول الأعظم فيلقي بنظراته على بضعته الزهراء وزينب فيهتز

البيت شجواً وطرباً ، وتحتاج الوافدين موجة الإبتهاج والفرح . حتى اذا ما وقعت عينا رسول الله (ص) على عيني أمير المؤمنين (ع) فاضت كلتاهما بالدموع ليعود الوجوم بكلاكله ، على هذا البيت ويبدد فرحة الحاضرين في احزان المستقبل البعيد .

وهكذا يتخطى الرسول ثانية إلى المولودة ، ليأخذها إلى صدره ، وينفجر بالبكاء ، كما تواترت على ذلك كتب التاريخ ، فقد ذكر صاحب كتاب «ناسخ التواريخ» عن كتاب رياض المصائب قال : (ان زينب بنت علي بن أبي طالب لما ولدت ، أخبر النبي بذلك ، فأق وقال لابنته فاطمة ، يا بنية آتيني بابنتك المولودة ، فلما أحضرتها أخذها وضمها إلى صدره الشريف ووضع خده المنيف على خدها وبكى بكاءً شديداً عالياً ، حتى سالت دموعه على خديه فقالت الزهراء (ع) : لماذا بكاءك يا رسول الله لا أبكى الله عينيكَ يا أبتاه ، فقال (ص) : يا بنتاه يا فاطمة ، اعلمي أن هذه البنت ستبلي ببلايا ، وترد عليها مصائب شتى ورزايا) (١) .

ويحاول أمير المؤمنين (ع) أن يحفف دموع الرسول (ص) فيقول : يا رسول الله سمها ، فيجيب : «أولاد فاطمة أولادي لكن انتظر نزول الوحي في تسميتها فنزل جبرئيل وقال يا رسول الله أن الله تعالى سلّم عليك وقال لك سمّ مولودة فاطمة زينب فإننا كتبنا اسمها في اللوح المحفوظ» (٢) أي تعهد رباني يحوط هذا البيت ، وأي عناية فائقة من الجليل تتعهد هذه الطفلة ، فكما اختار

(١) كتاب السيدة زينب بنت الزهراء وثورة كربلاء في الوجدان الشعبي ص ١٤ .

(٢) تراجم اعلام النساء الاعلمي الحائري ص ١١٦ جزء ٢ .

لها أعظم جدٍ وخير أبٍ وأفضل أمٍ وأعلى بيتٍ وأشرف إخوةٍ ، فقد أبى إلا أن يكون تسميتها المباركه منه جل وعلا ، كل ذلك ليشير إلى مكانتها وعظمتها ومستقبلها المشرق الذي ينتظرها لتأخذ بيد المسلمين إلى مدارج الحياة المنتظرة ، ولتقودهم إلى مراقبي الحضارة الإنسانية القيمة .

وتترعرع هذه المولودة في احضان الرسالة ، وترتشف من نعيم الوحي وتُسقى بلبان المعرفة متنقلة من حجر أمها الزهراء (ع) إلى صدر والدها أمير المؤمنين (ع) إلى ثغر جدها الرسول (ص) إلى حنان إختها الأبرار ، وتتلقى دروس العفة والطهارة والزهد والعبادة والمعرفة ، ولتث من آبائها الكرام كل صفات الشموخ والرفعة ، ولتكون كأما الزهراء وأبيها أمير المؤمنين (ع) في فصاحتها وعبادتها ، كما أشار إلى ذلك النيسابوري في رسالته العلوية حيث قال : (كانت زينب بنت علي (ع) في فصاحتها وبلاغتها وزهدا وعبادتها كأبيها المرتضى وأما الزهراء (ع))^(١) .

وكما أشار إلى ذلك السيد محمد بحر العلوم في كتاب «في رحاب السيدة زينب حيث قال : وتدور الأيام والطفلة العلوية تطوي ليلها ونهارها في ظلال بيتٍ ، تجمعت فيه صفات الانسانية وخصال الرحمة والوفاق تغرف من بحر عالم لم ينضب ، وتشب في ضفافه شمائل البطولة ويزهر على شواطئه الكرم ، لما يؤهلها لأن تكون مثل النساء بعد أمها فاطمة الزهراء (ع))^(٢) .

(١) كتاب عقيلة بني هاشم - علي الخطيب ص ١١ .
(٢) كتاب في رحاب السيدة زينب - محمد بحر العلوم - ص ١٥ .

زينب في مجتمع المدينة

كما أن للوراثة والتربية دوراً كبيراً في تشخيص مقومات الطفل وقولبة سجاياه فان للبيئة نصيباً وافراً من ذلك أيضاً .

اذ انه ربما يكون الطفل يحمل من الخصائص والمؤهلات التي تحصلها من الوراثة والتربية ما يؤهله ليكون في طليعة الأشراف ، إلا أنه يصطدم بيئة موبوءة تخنق كل تلك المؤهلات في نفسه وتجرفه إلى فساد وانحراف .

فالأب حينما يهتم بتربية أبنائه تربية مثالية ، ثم يغفل عن عامل البيئة وضغط المجتمع وتأثير الأصدقاء ، يفاجأ بظهور بعض الصفات في أبنائه لم يكن تعلمها من البيت أو وراثتها من الأجداد ومع ترك مراقبة الأبناء من هذا الجانب تتصاعد تلك الصفات في نفوسهم لتُغطي صفات الوراثة والتربية ولتكون أكثر بروزاً ووضوحاً فيهم حتى يسموا بها .

وهذا هو السر في تبدل أحوال المجتمعات وتغير الصفات .

من هذا المنطلق ونظراً للأهمية البالغة لهذا العامل ، يكون من الأولوية

بمكان ، أن نبحت عن مجتمع الحوراء زينب (ع) وتأثيرها وتأثيرها فيه .

فمجتمع المدينة المنورة بقيادة الرسول الأعظم (ص) ، كان المجتمع المثالي الرائد لحركة النهضة الاسلامية والبذرة الأولى في طريق ازدهارها ، فقد جاء الرسول الأعظم إلى مجموعة من البدو الرحل ، وهم غارقون في الظلام ومنشغلون بإراقة دماء بعضهم البعض ، حتى ان الحروب تستمر أحياناً إلى أربعين عاماً كحرب «داحس والغبراء» ولتطعن آلاف الرجال والطاقات والثروات فجاء الرسول الأعظم (ص) بنور الرسالة الربانية ، ليحول هؤلاء البدو الرحل إلى رافعين لمشعل الحضارة في كل الامم في الدنيا وليصنع منهم أبطالاً وعظماءً كأي ذر ، والمقداد ، وعمار ، وسلمان .

وهكذا تتشكل النواة الأولى لمجتمع المدينة المنورة ، حيث تقوم على المحبة والتعاون والإخاء ، حيث يؤاخي الرسول بين المهاجرين والأنصار ، ويساوي بين طبقات المجتمع ليكونوا صفوفاً متراصين خلف قيادته ، وليبايع الجميع الرسول الأعظم على السمع والطاعة . وكأنهم يبايعون الله ﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم...﴾^(١).

وحتى نفهم الظروف التي سايرت الحوراء زينب ، ولكي لا نفاجأ بتطورات المستقبل ، لا بد أن نكون أكثر صراحة في هذا الجانب ، ذلك أنه لم

(١) سورة الفتح اية (١٠) .

يكن جميع من في المدينة مؤمنين حقيقيين مئة في المئة ، بل إن في المدينة من هو مؤمن إيمان حقيقي ، ومن هو يعبد الله على حرف ومن هم همج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح .

(وفي الحقيقة أن المجتمع الاسلامي الأول ، اذا كان قد تفاعل بصورة عامة مع التعليمات الاقتصادية والاجتماعية واستسلم لقيادة الرسول الأعظم السياسية ، وأن كان ذلك بصعوبة تخللتها حالات من التمرد والعصيان ، فإنه كان ينطوي في حياة الرسول(ص) على قبلة موقوته اسمها الصراع السياسي على السلطة بعد وفاة الرسول(ص) ، خاصة وان المسلمين لم يتخلصوا نهائياً من مخلفات الصراعات السابقة ، والصراع بين الأوس والخزرج والذي تفجر مرة في حياة الرسول وكاد يمزق وحدة المجتمع الإسلامية ، بالإضافة إلى الصراع بين المؤمنين والمنافقين)^(١) . في هذا المجتمع وضمن هذه الظروف خطت الحوراء زينب(ع) خطواتها الأولى وان كانت في الرابعة أو الخامسة من عمرها ، إلا أنها كانت تشعر بما يدور في جوانب ذلك المجتمع من صراع خفي وعداوة للبيت العلوي ، ولعل ما يؤيد هذا الشعور والإحساس عند الحوراء زينب(ع) هي الرؤية التي رأتها وحكتها لجدها الرسول (ص) ، فالرؤية يعرفها علماء النفس بأنها صورة مشوهة عما يدور في لاوعي الفرد ، أما تلك الرؤية فقد ذكرها صاحب كتاب (زينب الكبرى) العلامة جعفر النقدي ص ١٩ حيث قال : (جاءت زينب إلى جدها رسول الله (ص) وقالت ، يا جدها رأيت البارحة رؤية ، انها

(١) يوميات فاطمة الزهراء - أحمد الكاتب - ص ٢٩ .

انبعث ربح عاصفة سودت الدنيا وما فيها واطلمتها وحركتني من جانب إلى جانب فرأيت شجرة عظيمة فتعلقت بها من شدة الريح ، فاذا بالريح قلعتها وألقته على الأرض ثم تعلقت على غصن قوي من أغصان تلك الشجرة فقطعتها أيضاً ، فتعلقت بفرع آخر فكسرتة أيضاً ، فتعلقت على أحد الفرعين من فروعها فكسرتة أيضاً ، فاستيقظت من نومي ، فبكى (ص) وقال : الشجرة جدك والفرع الأول أمك فاطمة والثاني أبوك علي والفرعان الآخرا هما أخواك الحسنان ، تسود الدنيا لفقدهم ، وتلبسين لباس الحداد في رزيتهم) .

فلم تكن الحوراء زينب(ع) بعيدة عن تلك الأجواء أو غافلة عما يحاك ضد البيت العلوي من مؤامرات ، فتهبىء نفسها لمواجهة آلام المستقبل ، ولتعكس تلك البيئة ، وذلك المجتمع على شخصيتها الجدد والاتزان من صغرها ، فلم تكن زينب وهي في هذا السن لتلعب مع الأطفال أو لتتشغل بتوافه الحياة . حتى انه اذا ما جاء والدها أمير المؤمنين(ع) ليلاطفها حولت تلك الملاحظة إلى جد عميق . وذلك حين كانت جالسة في حجر أبيها وهو عليه السلام يلاطفها بالكلام فقال لها (يا بنية قولي واحد ، فقالت واحد ، فقال لها قولي اثنين فسكتت ، فقال لها تكلمي ياقرة عيني فقالت (ع) : يا أبتاه ما أطيق أن أقول إثنين بلسان أجريته بالواحد فضمها صلوات الله عليه إلى صدره وقبلها بين عينيها^(١)) .

(١) زينب الكبرى - النقدي - ص ٣٥ . وكتاب السيدة زينب في الوجدان الشعبي - رضا صبح - ص ١٨ .

هكذا تؤكد الحوراء زينب(ع) رغم صغر سنّها انها حاضرة في كل الأجواء
متنبئة بهموم المستقبل ، فلا مكان للملاطفة في خلدها .

(فزينب لم تخفض الطرف يوماً انما حلقت في القمم حتى بلغت الذروة
فهي نداء يجوب الآفاق ، ويتغلغل في القرون ، وهي عبقرية تفتحت فيها
آفاق وأجواء^(١)).

ولم تمر سوى أيام قلائل حتى أصبحت زينب(ع) في خضم الأحداث ،
تعصف بها ريح الدهر فتلفيها جبلاً أشم يتناول على نوب الدهر ويأبى أن
يستسلم لصولات الدنيا .

(١) في رحاب بطلة كربلاء - ابراهيم محمد خليفة - ص ٣٨ .

زينب والتجارب الأولى

في التجارب علوم لا يمكن أن يحصل عليها الإنسان من أي مكان فهي التي تحفر في ذاكرة الإنسان دروساً لا ينساها لحظة واحدة وهي حاضرة في كل وقت وزمان بل وأقرب إلى نفس الإنسان وأوثق في قلبه من كل الدروس والسجايا التي تحصلها من الوراثة والتربية والبيئة . ولهذا يشير أمير المؤمنين (ع) حيث يقول : (في التجارب علمٌ مستأنف^(١)) وبقدر ما تكون النفس عظيمة تكون التجربة وافية وكبيرة ، وبقدر ما يكون الإنسان واعياً ، تكون استفادته من تلك التجارب .

هكذا تواجه الحوراء زينب(ع) التجارب الأولى في حياتها وإن كانت تجارباً قاسية، فإن زينب(ع) جلدة واعية، وإن كانت تجارب كبيرة يضيق بها الوسع فقلب زينب(ع) أوسع من الفضاء .

أما التجربة الأولى فهي رحيل الرسول الأعظم(ص) بظله الوافي عن بيت الآل

(١) بحار الأنوار جزء ٧١ ص ٣٤٢ .

وعن المسلمين الى غير رجعة ، فتهتز أركان المدينة وتموج بأهلها وكأنهم في سفينة تتقاذفها الأمواج ، ويصعب المصاب على آل البيت ، والخوراء زينب ، وتضيق الدنيا بكل مارخيت ، وتسود في عينها وهي ترى جدها الرسول محمولاً على حصير البرزخ ونخشة الموت إلى عالم آخر .

«ومن يدري ما الذي كان يدور بخلد الصغيرة الذكية ، وهي تُلفي جدها الكبير صامتاً في تلك المناحة المفجعة ، ساكنة والدنيا من حوله ضاجة صاحبة هائجة مائجة نائرة فائرة كأنما قد لفها اعصار وأُي طائف من الحزن المبهم قد طاف بها في عامها الخامس فأسمعها لحن الموت وأراها موكب الرحيل^(١)» .

وهكذا تتضايق الدنيا في صدر زينب وهي ترنو إلى من يهدى روعها ويسكن مصابها ، فلا تجد من حولها إلا باكيةً ونادياً .

فأمها باتت بعد هذا المصاب الجلل واجمة واجدة باكية حزينة ، لم تُر باسمه قط حتى التحقت بوالدها الرسول (ص) .

«وما زالت فاطمة بعد أبيها معصبة الرأس ناحلة الجسم ، منهدة الركن يغشى عليها ساعة بعد ساعة وبلغ بها البكاء على أبيها ان أهل المدينة شكوا

(١) السيدة زينب - بنت الشاطئ - ص ٣٥ .

أمرها واقترحوا عليها أن تبكي ليلاً أو نهاراً^(١) كل ذلك يمر على الحوراء زينب (ع) ثقيلًا يجرعها آهات الطفولة البريئة ويزيد من روعها لفقد الرسول (ص).

ولم تجد الحوراء زينب مُتنفساً من هذه المحنة ، حتى فار تنور المحن في وجهها مرة أخرى ليجثم بأوزاره على قلبها الصغير ، وذلك حين وجدت ضغائن الحاقدين الذين نقموا من أمير المؤمنين (ع) نكير سيفه وشدة بأسه في جنب الله ، وإن تظاهروا بالصلاح والإيمان حيث هجموا على بيت الوحي ومنزل العصمة ومهبط جبرئيل بعد أن تركوا الرسول الأعظم مسجىً على سرير الموت ليس معه سوى أمير المؤمنين ونفر من المخلصين ، وتأمروا في سقيفة بني ساعده ليتقاسموا الرئاسة بعده ، وقد أصموا آذانهم عن آلاف الأحاديث التي قالها في تبيان هذا الأمر ، فقد اجتمعوا ليصرفوا الأمر عن أصحابه الشرعيين الذين نصت عليهم رسالة السماء .

ولم تكن الحوراء زينب (ع) قد تجاوزت الخامسة من عمرها حين سمعت صرخة أمها الزهراء (ع) بعد أن عصرت بين الحائط والباب ثم لم تجد من الاعداء الواقفين على الباب وقد أوشكوا أن يضرمو الباب ناراً لم تجد فيهم الحوراء زينب (ع) ذرة من عطف أو وهساً من شفقة أو ليتراجعوا أمام استغاثات الزهراء (ع) التي بحثت تحت وطأة المصاب وضغط الباب ونبت المسار .

عجباً أن السماء ، لم تنطبق على الأرض . وأعجب منه أن الأسد الهصور

(١) فاطمة الزهراء قدوة وأسوة - العلامة محمد تقي المدرسي - ص ٦٥ .

الذي كان يطحن الأعداء في الحروب اذا ازدلفت الأسنة طحن الرحي ،
والذي أردى مُرحباً وصرع عمرو بن ود ، وقلع باب خير واقفٌ وقد فاضت
عيناه بالدموع مستسلماً للأقزام وهم يقودونه ، والحبل كتافاً في عنقه ، ما الذي
أمسك الجبل أن يتزلزل في وجوههم وما الذي منع الهزبر أن يزأر في جوانبهم ،
انهم وصية الرسول الأعظم، فهو الذي كان يعلم بما سينقلب عليه القوم من
بعده كفاراً حسداً من عند أنفسهم كما قال تعالى ﴿ . أفإن مات أو قتل انقلبتم
على أعقابكم . ﴾^(١) ، فيوصيه بالصبر حفاظاً على بيضة الإسلام ومنعاً لإراقة
الدماء .

كل ذلك يجري في مرأى من الخوراء زينب (ع) ومسمع، فتتزلزل أركانها
وينهد كيائها فقد بلغ المصاب ذروته ، ولم تطق التحمل أكثر من ذلك فقد
استوعب قلبها من المصاب ما تعجز عن حمله الجبال الراسيات كما يشير إلى ذلك
الشاعر السيد حسن البغدادي حيث يقول :

يا قلب زينب كم لاقيت من محن فيك الرزايا وكل الصبر قد جُمعا
لو كان ما فيك من صبر ومن محن في قلب أقوى جبال الأرض لا انصدعا
يكفيك صبراً قلوب الناس كلهم تفسطرت للذي لاقيته جزعاً^(٢)
ويدور دولا ب الأحزان أمام ناظرها لتلمح أمها الزهراء تعدو خلف أمير
المؤمنين (ع) منادية ولما تهدأ جراحاتها، خلوا ابن عمي أو لأكشف بالدعا راسي
وأشكو للاله شجوني .

(١) سورة آل عمران اية ١٤٤ .

(٢) وفاة زينب الكبرى - الشيخ فرج آل عمران - ص ٢٤ .

ويلمح أمير المؤمنين (ع) تغير الأفق واحمرار الشفق، فيعلم أن الزهراء (ع) قد أوشكت أن تدعو على القوم ، وان دعت انطبقت السماء على الأرض ، فيتحرك قلبه النازف برحمة على أعدائه فيرسل سلمان ليقول لها «يا فاطمة إن أباك قد بعث رحمة فلا تكوني عليهم نقمة» فيصل سلمان إلى الزهراء (ع) وقد حولت بصرها ناحية السماء ، وليرى أن جدران المسجد ارتفعت عن الأرض (كما في الخبر) فيخبرها بمقالة أمير المؤمنين فتتنهد ثم تقول : «يا سلمان كسروا ضلوعي صبرت ، ضربوني على عيني صبرت ، يريدون أن ييتموا عيالي والله يا سلمان ما على علي من صبر» .

ثم تحول الزهراء وجهتها ناحية قبر والدها الشريف حتى اذا ما وصلت إلى قبره مسكت قبضة من ترابه الشريف تشمه ثم بكت بكاءً شديداً وهي تنشد :

«ماذا على من شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا»^(١)
«وجلست سبعة أيام لا يهدأ لها أنين ، ولا يسكن منها الحنين ، كل يوم جاء كان بكائها أكثر من اليوم الأول ، فلما كان اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن ، فلم تطق صبراً إذ خرجت وصرخت ، فكأنها من فم رسول الله (ص) تنطق ، فتبادرت النسوان ، وخرجت الولائد والولدان ، وضج الناس بالبكاء وجاء الناس من كل مكان ، وأطفئت المصابيح كيلا تتبين صفحات النساء ،

(١) شرة الشائل لقاري جزء ٢ ص ٢١٠ والقسطلاني في ارشاد الساري جزء ٢ ص ٣٩٠ والفتاوى الفقهية لابن حجر جزء ٢ ص ١٨ .

وُخِيلَ إِلَى النِّسْوَانِ أَنَّ الرَّسُولَ اللَّهَ (ص) قَدْ قَامَ مِنْ قَبْرِهِ ، وَصَارَتِ النَّاسُ فِي دَهْشَةٍ وَحِيرَةٍ لِمَا قَدْ رَهَقَهُمْ ، وَهِيَ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَنَادِي وَتَنْدَبُ أَبَاهَا : وَأَبْتَاهُ ، وَاعْمَدَاهُ ، وَأَبَا الْقَاسِمَاءِ وَارْبِيعَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى ، مِنْ لِلْقَبْلَةِ وَالْمَصْلَى ، وَمِنْ لِابْنَتِكَ الْوَالِهَةِ الثَّكَلَى^(١) .

«ثُمَّ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَنَى لَهَا بَيْتاً فِي الْبَقِيعِ نَازِحاً عَنِ الْمَدِينَةِ يُسَمَّى بَيْتَ الْأَحْزَانِ ، وَكَانَتْ إِذَا أَصْبَحَتْ قَدِمَتْ الْحَسَنُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَمَامَهَا وَخَرَجَتْ إِلَى الْبَقِيعِ بَاكِيةً^(٢)» .

أَمَّا الْحَوْرَاءُ زَيْنَبُ (ع) فَلَمْ تَكُنْ أَمَهَا الزَّهْرَاءَ لِتُخْرِجَهَا مَعَهُمْ بَعْدَمَا وَجَدَتْ أَنَّ الدَّمْعَ قَدْ حَفَرَتْ أَخْذُوداً عَلَى وَجْنَتَيْهَا وَبَاتَتْ تَرْتَعْشُ مِنْ تَأْثِيرِ الْمَصَابِ كَالسَّعْفَةِ إِذْ تَلَاعِبَهَا الرِّيحُ فَتَبْقَى مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) وَأَخْتَهَا أُمَّ كُلْثُومٍ فِي الدَّارِ لَتَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهَا الْمُنْقَطِعَةَ وَلْتَهْدِيءَ مِنْ زَفَرَاتِ الْأَلَامِ فَإِنَّ الْمَصَائِبَ لَمْ تَنْتَهِي ، بَلْ إِنَّ أَكْبَرَ الْمَحْنِ لَمْ تَقَعْ بَعْدَ .

وَهَكَذَا تُصْنَعُ الْأَحْدَاثُ فِي أَمَهَا الزَّهْرَاءَ (ع) لِتَهْدِيَ أَرْكَانَهَا وَتَجْعَلَهَا طَرِيحَةً الْفَرَاشِ مُسْتَسْلِمَةً لِمَرَضِ عِضَالٍ ، إِلَّا أَنَّ الْمَرَضَ لَمْ يَمْنَعَهَا عَنْ أَنْ تَصْدَعَ بِأَنْبَاءِ الْوَحْيِ وَلِتُكْشِفَ مِنْ مَوْامِرَاتِ الْأَعْدَاءِ مَا دَبَّرَ بَلِيلٌ .

(١) كِتَابُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ قُدْوَةٌ وَأَسْوَةٌ - الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ تَقِي الْمَدْرَسِي - ص ٧٩

(٢) بَحَارُ الْأَنْوَارِ - الْمَجْلِسِيُّ - ج ٤٣ - ص ١٧٥ .

فحين زارتها نسوة المهاجرين والأنصار في فراش المرض ، لم تكن لتفوت تلك الفرصة حيث يسألونها كيف أصبحت فتقول : «أصبحت والله عاتفة لديناكن ، قالية لرجالكن ، فقبحاً لأفون الرأي ، وخطل القول ، وبش ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ويجهم أنا زحزحوها عن أبي الحسن ، ما نقموا والله منه إلا نكير سيفه ، ونكال وقعه وتنمره في ذات الله ، فانه قواعد الرسالة ، ورواسي النبوة ، ومهبط الروح الأمين ، فهل فاسمع ، فما عشت أراك الدهر عجباً وإن تعجب بعد الحادث فما بالهم ؟ بأي سند استندوا ، أم بأية عروة استمسكوا ، لبش المولى ولبش العشير ، وبش للظالمين بدلاً ، فتعساً لقوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع ؟ أم من لا يهدي إلا أن يهدى ، فما لكم كيف تحكمون ؟ ! لفتحت فنظرت ريث ما تنتج ثم احتلوا طلاع القعب دماً عبيطاً ، وزُعافاً مريضاً هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسكن الأولون ثم ، اطمئنوا للفتنة جاشاً ، وابشروا بسيف صارم ، وهرج دائم شامل ، واستبداد من الظالمين ، فزرع فيثكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرة لهم وقد عميت عليهم الأنباء ، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» .

وهكذا كانت الحوراء زينب (ع) ترقب أمها الزهراء وهي تتلوى من الألم على فراش المرض ، فلم يكن ليفت بعضها هذا المرض وليحبسها عن تبين الحق ، فتتعلم الحوراء درساً آخر وفناً آخر من فنون الدعوة والتصدي ،

وليكون حزمة ضوء لها فيما بعد ، حيث تقود المسيرة وهي تكابد الآلام كما سيمر ، إلا أن في ظروف الحاضر ما يشغلنا عن التطلع في أحوال المستقبل ، ففاطمة الزهراء اشتد عليها المرض هذا اليوم وأحست بقرب الأجل ، وسرعة اللحق بوالدها الرسول وهي لم تعيش بعده أكثر من تسعين يوماً بل أقل من ذلك كما في بعض التواريخ وتتسارع أنفاس الطفلة وهي تعيش اللحظات الأخيرة ، لحظات الوداع ، فهي تودع أمها الزهراء إلى غير رجعة .

وهكذا تغرب شمس الدفء والحنان ، وينزاح الظل الوافي عن هذه الصغيرة وإخوتها ، فتخرج خلف جنازة أمها الزهراء باكية حزينة وهي تقول : «يا جداه ، يا محمداه ، اليوم فقدناك فقداً لا رجوع بعده» . ويمر شريط المأساة محترقاً لطموحات الغد في قلب زينب ، ثم لتعود إلى بيت أمها الزهراء ، ثم لتهدأ من وجد الأحزان وتفيق من سكر المصاب .

فزينب لم تعد صغيرة هذا اليوم ، انها كبرت وكأنها في العشرين من عمرها ، فهي ربة البيت وأماً لإخوتها ، هكذا ساور زينب هذا الشعور ، فأضحت جلدة بحجم المصاب وقد استوعب قلبها كل تلكم الآلام ، وإلى ذلك تشير الدكتورة بنت الشاطيء في كتابها «السيدة زينب» حيث تقول : «تبدو زينب في بيت أبيها ذات مكانة اكبر من سنها أنضجتها الأحداث وهيأتها لأن تشغل مكان الراحلة الكريمة فتكون للحسن والحسين وأم كلثوم أما لاتعوزها الأمومة بكل ما فيها من حنو وإيثار» .

وهكذا يُسدل الستار على المرحلة الأولى من حياة هذه الطاهرة بعد أن خاضت تجارباً أكبر من حجمها بكثير وقد جارتها وتناولت عليها ثم لتضيف ذلك إلى رصيدها الذي تحصلته من وراثة الأجداد وتعلمته من بيت العصمة ومجتمع المدينة ، ولتكون على أهبة الاستعداد لتخوض غمار الغد ولتنتصر .

الفصل الثاني

ضرورة التصدي ومؤهلاته
زينب (ع) والايمان بالله
زينب والعلم والمعرفة
زينب بين الحجاب والتصدي

ضرورة التصدي ومؤهلاته

جاءت الشريعة الغراء لتحدد مسار الفرد في هذه الحياة وما له وما عليه بغض النظر عن كون هذا الفرد رجلاً أو امرأة .

فالتعاليم الإسلامية وكما تحث الرجل على التمسك بمناقبيات الإسلام والتصدي لنشره فهي تعني المرأة بذلك أيضاً .

وهكذا في كل أحكام الإسلام التفصيلية ، فالصوم والصلاة والحج والزكاة ليست واجبة على الرجل دون المرأة بل هي تعني الاثنين .

وهكذا التصدي للدين ونشر تعاليمه ، فالهجرة حينما فرضت في الصدر الأول وهو عملٌ جهادي على المسلمين ، لم يكن ليقصر على الرجال دون النساء ، بل هاجرن النساء صفّاً إلى صف مع الرجال خلف رسول الله .

وهكذا يتحدث القرآن حيث يقول ﴿... وبَنَاتٌ خَالِكَ وَبَنَاتُ خَالَاتِكَ

الآتي هاجرن معك...»^(١) ويقول «إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن...»^(٢) وحين يحث على طلب العلم ويجعله فريضة يؤكد أنه فريضة على الاثنين كما في الحديث : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(٣) وليس العلم إلا سلاح من أسلحة التصدي كما سيمر ، فلو لم تكن المرأة المعنية بالتصدي لما أمرت بتحصيله .

ونظراً للأهمية البالغة من ضرورة إشراك المرأة في البرنامج التوعوي إذ هي نصف المجتمع وبدونها تكون المسيرة عرجاء عوراء شوهاء . وحيث يتخذ البعض من الفهم الخاطئ لتعاليم الدين تبريراً في إبعاد المرأة عن مسرح الحياة ودولاب الصراع تتزايد الحاجة في أن نتوقف في هذا الفصل لنسلط الأضواء على المرحلة الثانية من حياة الحوراء زينب(ع) ، ولنراها حاضرة في كل صراع يدور بين الإسلام والكفر أو النفاق والإيمان .

مؤهلات التصدي :

وكما يكون التصدي مهماً تكون خلق مؤهلاته وخصوصاً عند المرأة أكثر أهمية ، ذلك لأن المرأة تكون مُستهدفة من قبل الأعداء الذين فهموا خطرها ودورها في جبهة المواجهة إذا ما تسلحت بنور العلم والإيمان . فهي النبع الذي من تحته ينحدر العظماء وهي وراء كل رجل عظيم كما قيل : (وراء كل رجل عظيم امرأة) .

(١) الاحزاب آية (٥٠)

(٢) الممتحنة آية (١٠)

(٣) معالم الدين في الأصول - ص ٨ .

ونظراً للحالة الفسيولوجية الخاصة والحالة النفسية التي تتميز بها المرأة تتأكد أهمية خلق المؤهلات التي تضمن صواب التحرك لديها ، إذ إن التحرك والتصدي بدون مؤهلات عند المرأة ينتهي إلى لا شيء ، أن لم يكن إلى إضعاف لذات الساحة التي تتحرك فيها والمنهج الذي تنتمي إليه ثم لتوجد مجموعة من الأخطاء والسلبيات .

ولهذا لم يغفل القرآن الكريم عن توضيح هذه الحقيقة عند المرأة بالذات فهو يأمر المؤمنين المسؤولين عن محاور التحرك بوضع التجربة للمرأة وامتحانها لكشف مؤهلاتها قبل وضعها في جبهة الدفاع عن العقيدة حيث يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ . . . ﴾^(١) .

وهكذا تكشف الآية ذاتها عن أولى المؤهلات التي لا بد من توفرها عند المرأة وقبل الإنخراط في الساحة العملية والتواجد في مسرح الأحداث والسعي لنشر الدعوة ، ذلك هو الإيمان بالله تعالى فهو الدافع الأول للعمل والتحرك وهو السياج الذي يحفظ توازن الفرد رجلاً كان أو امرأة في انطلاقته حيث يضيء أمامه الطريق ليمشي سوياً على صراط مستقيم كما قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِباً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢) .

(١) سورة الممتحنة آية (١٠)

(٢) + سورة الملك آية (٢٢)

وهكذا تدعونا الحاجة إلى المضي قدماً في سيرة الحوراء زينب(ع) لنرى
مدى وجود هذا المؤهل في شخصيتها وقبل أن تكون قمة مضيئة في تاريخ
البشرية تضيء ساحة العمل ودروب التحرك .

زينب والإيمان بالله

هل المرأة ناقصة العقل والدين؟

هذا السؤال يبدو محيراً ومثيراً للإستغراب للوهلة الأولى وخصوصاً عندما يتأكد من الشريعة الإسلامية التي رفعت المرأة واحترمت مكانتها ، إلا أن في امعان النظر ما يرفع الحيرة ويبدّد الإستغراب ذلك أن سر تميز المرأة وتكاملها هو نقصان عقلها ، وحتى يتضح المَبْهَم ويرتفع الإلتباس لا بد من مقدمة بسيطة .

إن تكامل الصورة يكون مرتبطاً بالهيئة الملازمة لها ، فالخفة واللعب تكون جميلة تارة وقبيحة تارة أخرى ، كما أن الوقار والاتزان يكون كذلك ، فهو مرتبط بالهيئة الملازمة لتلك الحالة .

فجمال الطفل وتكامل خلقته كطفل في لهوه وعدوه ولعبه ، إذ أنه حين لا يكون كذلك يكون مريضاً ، كذلك فإن جمال الشيخ العجوز في وقاره

واتزانه ، إذ أنه لو أخذ دور الطفل الصغير فأخذ عصاه التي يتكىء عليها وجال عدواً وقفزاً في أرجاء البيت يكون عليلًا مجنوناً .

وهكذا فإن سر تكامل الحرير في نعومته ، كما أن سر تكامل المبرد في خشونته ، فالمبرد الناعم لا يكون كاملاً وكذلك الحرير الخشن خشونة المبرد .

وهكذا يكون سر تكامل المرأة في نقصان عقلها ، وليعوض ذلك النقص بالعاطفة الجياشة التي تشكل الدفء والحنان لأفراد الأسرة ، وإذا أردنا أن نتوضح الصورة أكثر فما علينا إلا أن نتصور امرأة كاملة العقل بدون عاطفة لنراها في صراع مع الرجل في قيادة المنزل والقيمومة على الأسرة .

فلماذا تكون القيمومة للرجل إذاً ؟ وهي مثله وب عقله ؟
ومن الذي يتكفل بتغذية الأولاد بالحنان الذي لا غنى لهم عنه ؟

ومع الأخذ بعين الاعتبار أن المرأة والرجل من خلق الله الذي قدّر كل شيء خلقه كما قال تعالى ﴿ .. وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾^(١) وكما يقول ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾^(٢) تكون هنالك أسرارٌ خفية ربما لا يتوصل لها عقلنا القاصر في خلق المرأة بهذه الصيغة .

(١) سورة الفرقان آية (٢)

(٢) سورة التين آية (٤)

وكما أن المرأة ناقصة العقل يكون الرجل ناقص العاطفة ، ولئن كانت المرأة موسومة بهذا النقص في عقلها من قبل الجاهلين ، فإن الرجل يكون موسوماً بنقص عاطفته كذلك .

إلا أن سر تكامل الرجل هو نقص عاطفته فهو الكادح ، كما أن سر تكامل المرأة هو نقص عقلها فهي منبع الحنان .

وأما نقصان دينها فهو لعودها عن الصوم والصلاة حال الحيض و(النفاس المساوي لمقدار عاداتها الشهرية) .

ولهذا أشارت الروايات التي تعلل نقصان دين المرأة كما في تفسير العسكري(ع) قال : أقبلت امرأة إلى رسول الله (ص) وقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، فما من امرأة يبلغها سيري إليك إلا سرّها ذلك ، يا رسول الله ، إن الله رب الرجال والنساء وخالق الرجال والنساء ، وإن آدم أب الرجال والنساء وإن حواء أم الرجال والنساء ، وإنك يا رسول الله إلى الرجال والنساء فما بال امرأتين برجل واحد في الشهادة والميراث ؟

فقال رسول الله (ص) : (يا أيتها المرأة إن قضاء ذلك من عدل حكيم لا يجوز ولا يحيف ولا يتحامل ، لا ينفعه ، مامنعن ولا ينقصه ما بذله ، لكن

يدبر الأمر بعلمه ، يأتيها المرأة لأنكن ناقصات الدين والعقل) .

فقلت : يارسول الله وما نقصان ديننا ؟

فقال (ص) : (إن إحدائكن تقعد نصف دهرها لا تصلي بالحيض)^(١) ولأن الصلاة عمود الدين وقربان كل تقي ولأن الصلاة هي المحطة التي يتزود منها الإنسان كل يوم خمس مرات بوقود الإيمان الذي يضيء القلب ، تكون المرأة بعيدة عن هذا الوقود في كل شهر إذا ما جاءها الحيض ، وإن كانت معذورة في ذلك ، إلا أنها تكون بحاجة إلى تعويض هذا النقص وسد هذا الفراغ في نفسها ، ولذلك يستحب لها شرعاً «أن تجلس مستقبلية القبلة في أوقات الصلاة» . ولأن الإيمان بالله هو النور الذي يكشف أمامها الدرب في كل تحركها وتصديها لنشر الدعوة ، يأمرها الدين بأن تعوض هذا النقص وتسد هذه الثغرة وتقوي علاقتها بالله تعالى وترفع من إيمانها قبل أن تلتحق بالويرة الدعاة والمبلغين .

وهكذا كانت الحوراء زينب (ع) في كل مراحل حياتها فهي من العابدات القانتات والمعروفات بذلك فهي عليها السلام عاشت آفاق المعرفة الصحيحة والدقيقة الشاملة وأجواء الروحانية والقدسية في ظل أخويها وأمها وأبيها وجدها (ص) وهم عليهم السلام العابدون الحقيقيون^(٢) وفي كتاب زينب الكبرى

(١) كتاب لقمان الحكيم - العلامة الشيخ منصور الموهون - ص ١٢٧ .

(٢) مجلة أهل البيت^(٣) - العدد (٣) محرم ١٤١٣ هـ .

للعلامة جعفر النقدي اشارة لذلك حيث يقول : إن زينب كانت في عبادتها
ثانية أمها الزهراء وكانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن .

ولم تزل الحوراء زينب(ع) متقربة إلى الله تعالى في كل وقت مستأنسة
بذكره منشغلة بالتبتل وقراءة القرآن لم يفتّر لسانها عن تسبيح الله وتحميده حتى
(لقت بعابدة آل علي)^(١) . وقال عنها الدكتور علي ابراهيم «هي اشهر نساء
العرب فصاحة وأكثرهن تعبداً»^(٢) ولم تترك صلاة الليل قط حتى في أحلك
الظروف وأقسى الساعات .

كما في مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهري قدس سره : قال :
قالت فاطمة بنت الحسين(ع) وأما عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة
أي العاشرة من المحرم في محرابها تستغيث إلى ربها فما هدأت لها عين ،
ولا سكنت منها رنة^(٣) .

وقد قال الإمام زين العابدين(ع) عنها (إن عمتي زينب مع تلك المصائب
والمحن النازلة بها في طريقنا إلى الشام ما تركت نوافلها الليلية)^(٤) بل كانت في

(١) خصائص الزينية للجزائري . وفاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى أحمد الحمداني ص
(٦٣٦) جزء (٢) .

(٢) نساء هن في التاريخ الإسلامي نصيب ص (٤٨)

(٣) وفاة زينب الكبرى - الشيخ فرج آل عمران - ص ١٤ .

(٤) السيدة زينب في الوجدان الشعبي - رضا حسين صبح - ص ١٦ .

بعض المنازل تصلي من جلوس ، ولما سألتها الإمام^(١) عن ذلك قالت أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف^(٢) .

وهكذا كانت الحوراء زينب (ع) في قمة العابدات المتبتلات ، وهكذا إمتلأت إيمان من رأسها إلى أخمص قدميها ، ثم لتكون قدوة حية متجسدة أمام المرأة الداعية المتواجدة في ساحات التحرك ومحاور العمل . فالمرأة وقبل أن تكون عنصراً فعالاً ومساهماً في صنع قرارات المجتمع ورصيماً في طاقاته ، وقبل أن تكون متواجدة في الأبنية الفكرية والثقافية والإعلامية لا بد لها أن توجد الإيمان الحقيقي في نفسها وحتى تسير المرأة جنباً الى جنب مع الرجل في دفع عجلة التقدم للمجتمع الإسلامي وبدون اصطدامات ، وليس هذا الشرط خاصاً للمرأة الداعية وحدها دون الرجل وإن كانت الحوراء زينب (ع) هي القدوة فيه بل يتجاوز المرأة ليكون شرطاً أيضاً من شروط تصدي الرجل المبلغ ومساهمته في النهوض بالمجتمع الإيماني إلى الأفضل .

وهكذا نضمن أفضل النتائج ، كما نضمن استقامة الأفراد العاملين في هذا السلك ، لأن الذي يتصدى بلا إيمان : لا يكون دافع التصدي عنده هو نشر الدين وخدمة الآخرين ورضا الله سبحانه وتعالى ، اذا انه بعيد عنه كل البعد فهو بلا إيمان ، وإنما يتصدى لوجود مكاسب مادية يتحصل عليها من وراء ذلك كالشهرة والمكانة الاجتماعية والأموال ، وهكذا يكون تصديه بحسب

(١) زينب الكبرى - العلامة النقيدي - ص ٦٣ .

هذه الأمور فإذا ما رأى أن عجلة العمل والتحرك تدور عكساً حيث لا يجد شيئاً من ذلك ، بل ويرى عكسه كالتشرد والمحاربة والضيق فإنه يتخلى عن كل ذلك ثم يكون بؤرة من السلبيات على ذات الهدف الذي سعى لتحقيقه والمنهج الذي كان يحمله ، وليواري سوء فشله في هذا الطريق . وهكذا نجد كثيراً من الأفراد بل وكثيراً من التجمعات حين تصدت لنشر الدعوة والدفاع عن المظلومين وهي صفر اليدين من الإيمان ، وأقصد الإيمان الحقيقي وليس الإيمان المزيف . إيمان الداخل والمحتوى وليس إيمان الشكل والاطار الخارجي . أقول حين تصدت وهي صفر اليدين من هذا الإيمان تخبطت في أوحال الفتن وتاهت في متاهات الطريق ، ذلك لأن الإيمان هو الضوء الذي يكشف الطريق وهو الفرقان الذي يميز بين الخطأ والصواب . وهكذا يتضح لنا أن الإيمان الذي كانت تحمله زينب (ع) هو الإيمان الحقيقي والإيمان الأصيل ، لأنها رغم أقصى الظروف وأعتى الهزات والمحن في حياتها النضالية لم تتخل عن الهدف الذي انطلقت لتحقيقه وهو نشر الدين ، بل زادت الشدائد قرباً من الله تعالى وإيماناً عميقاً حيث وكما مر أنها لم تترك صلاة الليل حتى في ليلة العاشر من المحرم وحتى وهي في قافلة السبي في طريقها إلى الشام .

زينب تضع برنامجاً للإيمان : -

وكما كانت الحوراء زينب (ع) في قمة العبادة والإيمان ، فقد استخلص لنا التاريخ من سيرتها برنامجاً عملياً دقيقاً يكفل للإنسان تعميق الإيمان وتأصيل الورع في نفسه إذا ما رام السير عليه ذلك البرنامج يتلخص في ثلاثة أمور في غاية الأهمية .

أولاً : الدعاء : -

فلم تغفل الحوراء زينب (ع) عن الأهمية البالغة للدعاء ، وكونه (مخ العباد) كما في الحديث وكونه الشيء الذي يملكه الإنسان ليواجه به رب العزة كما في دعاء كميل (واغفر لمن لا يملك لنفسه إلا الدعاء) . ولأنه السبب الذي يجعل الله تبارك وتعالى يعبأ بنا ويمهلنا رغم الذنوب والمعاصي كما قال تعالى ﴿قل ما يعبؤا بكم ربى لولا دعاؤكم . . .﴾^(١) وكونه الحجر الأساس في عيش الإنسان مطمئناً سعيداً حيث يدفع عنه البلاء كما قال الرسول (ص) لأصحابه : (للبلأ أسرع إلى المؤمن من انحدار السيل من أعلى الجبل إلى أسفله) فقال أصحابه : ماذا نصنع اذن فقال : ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء^(٢) .

ولأنه سلاح المؤمن كما في الحديث (ان سلاح المؤمن الدعاء)^(٣) . لم تغفل الحوراء زينب (ع) عن تلك الأهمية للدعاء ، فأولته أهمية بالغة في حياتها حتى لا يكاد يمر يوماً عليها بدون دعاء ولا تكاد تنتهي من صلاة حتى تبدأ بعدها بدعاء .

وهكذا نقلت لنا كتب التاريخ عنها حتى اوردت لنا بعض الأدعية التي كانت مواظبة عليها ومن تلك الأدعية :

-
- (١) سورة الفرقان آية (٧٧) .
 - (٢) بحار الانوار جزء (٩٣) ص (٣٠١) وميزان الحكمة المجلد الثالث ص (٢٤٩) .
 - (٣) البحار ج ٩٣ - ص ٢٩١ .

(يا عماد من لا عماد له ، ويا ذخر من لا ذخر له ، ويا سند من لا سند له
ويا حرز الضعفاء ، ويا كنز الفقراء ، ويا سميع الدعاء ، ويا مجيب دعوة
المضطرين ، ويا كاشف السوء ويا عظيم الرجاء ، ويا منجي الغرقى ، ويا منقذ
الهلكى ، يا محسن يا مجمل ، يا منعم ، يا مفضل ، أنت الذي سجد لك سواد
الليل ، وضوء النهار ، وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر ، ودوي الماء ،
يا الله يا الله ، الذي لم يكن قبله ولا بعده ، ولا نهاية ولا حد ، وكفؤ ولاند ،
بحرمة اسمك الذي في الأدميين معناه ، المرتدي بالكبرياء والنور والعظمة محقق
الحقائق ومبطل الشرك والبوائق ، وبالإسم الذي تدوم به الحياة الدائمة
الأزلية ، التي لا موت معها ولا فناء ، وبالروح المقدسة الكريمة ، وبالسمع
الحاضر النافذ ، وتاج الوقار ، وخاتم النبوة وتوثيق العهد ، ودار الحيوان
وقصور الجبال ، يا الله ، لا شريك له) ومن الأدعية والتسبيحات التي كانت
تواظب على قراءتها أيضاً : (سبحان من لبس العز وتردى به ، سبحان من
تعطف بالمجد والكرم ، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له ، جل جلاله ،
سبحان من أحصى كل شيء عددا بعلمه وخلقه وقدرته ، سبحان ذي العزة
والنعم ، اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك
وباسمك الأعظم وجدك الأعلى ، وكلماتك التامات التي تمت صدقاً وعدلاً ، أن
تصلي على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين وأن تجمع لي خيري الدنيا والآخرة
بعد عمر طويل ، اللهم أنت الحي القيوم ، أنت هديتي وأنت تطعمني
وتسقيني ، وأنت تميتني وتحييني برحمتك يا أرحم الراحمين^(١) .

(١) عقيلة بني هاشم - علي الخطيب - ص ١٦ .

ولم تكن الحوراء زينب (ع) تهدف من وراء هذه الأدعية إلى تعميق حالة الإيمان فقط ، وإنما لتكون دروساً تربوية (فان الأدعية لو تأملنا فيها لكانت دروساً في الحياة غنية بالمعاني الحضارية)^(١) .

ولم تكن الأدعية التي تواظب عليها زينب سلام الله عليها تكشف عن التوجه الروحاني فقط ، وإنما لتكشف لنا أيضاً عن طبيعة التفكير والطموح عندها ، فلو ألقينا نظرة متأمل على الدعاء الماضي ، ثم سألنا أنفسنا ما الذي طلبت زينب عليها السلام لوجدنا انها لم تطلب شيئاً تافهاً أو دنيوياً ، وإنما طلبت الشهادة في سبيله حيث قالت (أن تجمع لي خيري الدنيا والآخرة) والشهادة هي خير الدنيا والآخرة .

كما ينقل أن الإمام (ع) رأى رجلاً في المسجد رافعاً يديه وهو يقول : (اللهم أعطني خير الدنيا والآخرة فقال الإمام (ع) : لئن استجاب الله دعاءه فانه سيرزقه الشهادة في سبيله ، ولعل ما يؤيد ان الحوراء زينب عليها السلام كانت تقصد هذا الشيء هو القرينة المقالية حيث قالت بعد ذلك بعد عمر طويل ، أي ارزقني الشهادة يا رب ولكن بعد أن أفني عمري وحياتي في سبيل نشر الدين والدعوة إليك .

وهكذا استجاب الله دعائها حيث أفنت حياتها في خدمة الدين ثم ماتت شهيدة بسياط الغدر كما سيمر .

(١) الدعاء - العلامة محمد تقى المدرسي - ص ٧ .

ثانياً : الإستغفار : -

وكما للنقطة الأولى أهمية بالغة في تأصيل الإيمان في النفس فان لهذه النقطة (الاستغفار) الأهمية الأكبر إذ إن الدعاء بدون استغفار قد لا يتعدى اللسان ، حيث تحجبه الذنوب والأعمال عن العروج إلى السماء ، ولهذا يشير الامام زين العابدين (ع) حيث يقول : (واعلم أنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك) ، ولأن الذنوب تحبس الدعاء ، كما في دعاء كميل للامام علي (ع) حيث يقول : اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء .

وهكذا تنبّهت الحوراء زينب (ع) أن الدعاء بدون استغفار يعني دعاء بدون اجابه ، فكانت من المستغفرات التي لا يمر عليها يوم بدون استغفار ، كما اننا نجد هذه النقطة جلية واضحة في حياتها حيث انها لم تترك صلاة الليل كما مر ، حتى في احلك الظروف ، وصلاة الليل تحمل سبعين مرة أستغفر الله كما لا تتم إلا بالاستغفار لأربعين مؤمن ولم تقتصر على الإستغفار ضمناً في هذه الصلاة ، وانما نقل لنا التاريخ كثرة استغفارها بين الفينة والأخرى وبعد التعقيبات حيث كانت دائمة المناجات لربها بهذه الأبيات وهي لوالدها أمير المؤمنين (ع) : -

الهي لئن جلت وجعت خطيئي فعفوك عن ذنبي أجمل وأوسع
الهي لئن خيبتني أو طردتني فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفع
الهي أذقني طعم عفوك يوم لا بنون ولا مال هنالك ينفع

الهي اذا لم تعف عن غير محسن فمن لمسيء بالهوى يتمتع
الهي لئن فرطت في طلب التقى منها أنا اثر العفو أفتو وأتبع
الهي لئن أخطأت جهلاً فطالما رجوتك حتى قيل ما هو يجزع
الهي ذنوبي بذت الطود واعتلت وصفحك عن ظلمي أجل وأرفع
الهي ينحي ذكر طولك لوعي وذكر الخطايا العين مني يدمع
الهي أقلني عثرتي وامح حوبتي فاني مقر خائف متضرع
الهي فان تعفو فعفوك منقذي وإلا فبالذنب المدمر أصرع^(١)

ولم يكن استغفار الحوراء زينب (ع) وطلبها العفو من جراء ذنوب
ارتكبتها ، حاشاها فهي الطاهرة المطهرة وهي من بيت أذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢) .

وانما لتعلمنا كيفية الاستغفار ولتضع البرنامج المتكامل الذي يربي الداعية
والمبلغ على الايمان . ولهذا كان يهدف أبوها أمير المؤمنين (ع) حيث كان يردد
هذه الأبيات وكذلك الامام زين العابدين (ع) حيث يقول في الصحيفة
السجادية (أبستني الخطايا ثوب مذلتني) وهما الامامان المعصومان عن الخطأ
أو الزلل .

(١) عقيلة بني هاشم - علي الخطيب - ص ١٧ .

(٢) سورة الأحزاب آية (٣٣) .

ثالثاً : حسن الظن بالله والتوسل بالرسول وأهل البيت عليهم السلام : -
ولم يكن الاستغفار هو الخطوة الوحيدة في سبيل تحقيق الدعاء بل ان
هناك خطوة لا تقل عنه اهمية وحتى يتحقق الدعاء وبالسعة المرجوة ألا وهو
حسن الظن بالله تعالى ، اذ بدونه لا يتحقق المطلوب وكما قال رسول الله (ص)
(ليس من عبد يظن بالله عز وجل خيراً الا كان عند ظنه به)^(١) بالإضافة إلى
التوسل بالرسول (ص) واهل البيت (ع) .

وهكذا كانت الحوراء زينب (ع) بحسنة ظنها بربها متوسلة بالرسول (ص)
واهل البيت حيث تعلم الأثر السحري والإجابة الفورية من وراء ذلك ، وهذا
ما تؤكده سيرتها الوضاعة حيث كانت تلهج بهذه الأبيات وهي لأبيها أيضاً
(ع) .

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أقى من بعد عسر وفرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحاً فتأتيك المسرة بالعشي
اذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الفرد العلي
توسل بالنبي فكل خطب يهون اذا توسل بالنبي^(٢)

(١) ميزان الحكمة المجلد الخامس ص ٦٣١ .

(٢) عقيلة بني هاشم - الخطيب - ص ١٩ .

فلاحظ في البيتين الأخيرين كيف تثق بالله تعالى وتحسن ظنّها به ثم
تتوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام .
كما وقد ورد أنّها تكرر هذه الأبيات أيضاً :

الهي بحق الهاشمي محمد وحرمة أطهار هم لك خضع
الهي فانشرنى على دين أحمد منيباً تقياً قانتاً لك أخضع
ولا تحرمني يا الهي وسيدي شفاعته الكبرى فذاك المشفع
وصل عليهم مادعاك موحد وناجاك أخيار بباك ركع
هكذا كانت الحوراء زينب (ع) في علاقتها بربها وهكذا كانت ترشح
بالإيمان والتقوى ، وهكذا وضعت برنامجاً متكاملًا عملياً لكل من يريد أن
يعمق الإيمان في نفسه ويؤصل الورع في ذاته رجلاً كان أو امرأة وقبل أن
ينبري للتصدي أو يشارك في بناء المجتمع .

زينب (ع) والعلم والمعرفة

العلم هو النور الذي يكشف للإنسان الحقائق والضمان الأكيدة لصواب
تحركاته .

فالإنسان بحاجة إلى علم ومعرفة في كل حركة يتحركها وفي كل خطوة
يضطرها ولذلك يقول الامام علي (ع) لكميل بن زياد النخعي (يا كميل !
ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة)^(١) .

وكما يقول له في موقف آخر ومناسبة أخرى (يا كميل ان هذه القلوب
اوعية فخيرها أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة ، فعالم رباني
ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم
يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق)^(٢) .

(١) تحف العقول - ص ١١٩ .

(٢) نهج البلاغة ص ٤٩٥ .

هكذا يصور الامام أمير المؤمنين (ع) الذين لا يملكون نصيباً من العلم بأنهم همج رعاع أتباع كل ناعق تائهون في هذه الحياة الدنيا لا يدرون طريق النجاة .

كما يقول إيليا أبي ماضي :
جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت كيف أبصرت طريقي لست أدري
فلأنه لا يدري ولأنه يجهل الهدف الذي جاء من أجله ولأنه لم يتعلم
أصبح غريقاً في هذه الدنيا ولا من منقذ .

فالدنيا عبارة عن بحر يغرق فيه كل من لا يجيد السباحة ، وإجادة
السباحة هي تحصيل العلم كما يصورها لقمان الحكيم لابنه حين يقول (يا بني إن
الدنيا بحرٌ عميق قد غرق فيه عالمٌ كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله
وشراعها التوكل ودليلها العلم^(١)) .

هكذا يكون العلم دليلاً للإنسان في ظلمات الحياة وبحر الأوهام ،
والعلم ليس حكراً على الرجل فقط بل هو مباح للمرأة أيضاً بل والإسلام يحثها
على طلب العلم ويجعله فريضة عليها كما في الحديث (طلب العلم فريضة على
كل مسلم ومسلمة^(٢)) وهذا الحديث يكفي دليلاً قاطعاً في مشروعية تعلم المرأة

(١) تحف العقول ص ٢٦٨ .

(٢) كتاب الحياة ج ١ - ص ٣٦ نقلاً عن كتاب البحار ج ٢ - ص ٣١ .

وأفضليته . «فالجهل الذي لحق المرأة في كثير من العصور لم يكن سببه التشريع بل المسؤول عنه التخلف والظلم اللذان طاولا جوانب عديدة من حياة المسلمين وعم الرجل والمرأة^(١)» .

فالمراة ظلمت بحق حين حُبست في دارها بذريعة الحفاظ على حشمتها ولم يُسمح لها بتحصيل العلم فبقيت جاهلة وتركت بصمات الجهل واضحة على المسيرة المتعثرة للأمة الاسلامية حيث أنها تعتبر المدرسة . لأبنائه ، وما هذا الإفراط في منعها عن طلب العلم إلا نتيجة رد فعل للتفريط الذي أوجده الغرب عندما فتح لها الباب على مصراعيه كما سيمر .

إلا أن الشريعة الاسلامية لا تمنع خروج المرأة لكي تتعلم ولكن بشروط وقيود يأتي تبينها في الباب القادم .

وفي الجملة لا يعارض الاسلام تعلم المرأة بل يشجعها على طلب العلم .

علم المرأة المتصدية :

ولإذا كان طلب العلم وتحصيله ضرورة ملحة للمرأة بشكل عام باعتبارها المربية للأسرة ، فانه بالنسبة للمرأة المتصدية الحاضرة في ساحة الأحداث يكون

(١) زاد المبلغين - محسن عطوي - ص ٢٩٧ .

أكثر إلحاحاً وأهمية ، حيث أنها تكون مسؤولة عن رفع مستوى الوعي في المجتمع بكامله ، وعليه لا بد لها من أن تكون على نصيب وافر وقدر كبير من العلم والمعرفة .

وهكذا كانت الحوراء زينب (ع) فهي عالمة غير المعلمة كما شهد لها الامام زين العابدين (ع) حيث قال لها (عمه أنت عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة^(١)) وفي هذه الكلمة ما لا يخفى من شهادة الامام (ع) لها بعلمه اضافة على شهادته بشرف الطريقة التي حصلت بها على هذا العلم حيث انه لم يكن من عند أحد من الناس وانما هو الهام من الله تعالى حباها به ومكرمة ربانية تضاف إلى مكارمه التي خصها بها كوراثتها لأنبياء الله ووجودها في أظهر بيت وتسميتها من قبل السماء كما مر .

وهذا ما أشار إليه العلامة النقدي في كتابه زينب الكبرى ص ٣٤ في مقام توضيح شهادة الامام لها بالعلم حيث قال (يريد أن مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرفيع ، أفيض عليها إلهاماً لا يتخرج على أستاذ وأخذ عن مشيخه وإن كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب تهذيبات جدها وأبيها وأمها وأخويها) وهكذا اشتهرت سلام الله عليها بالعلم والمعرفة حتى أصبحت النبع الفياض لأمة عصرها والفقهاء اللامعة في مجتمعا ترشحهم بعلمها الرباني في كل وقت ومناسبة حتى كان لها مجلس عملي حافل (كما كان لها مجلس خاص

(١) اعيان النساء الحكيمي ص ١٦٦ .

لتفسير القرآن الكريم تحضره النساء^(١) كما قال العلامة الفاضل السيد نور الدين الجزائري في كتابه الفارسي المسمى بالخصائص الزينية ما ترجمته عن بعض الكتب «ان زينب عليها السلام كان لها مجلس في بيتها أيام إقامة أبيها عليها السلام في الكوفة ، وكانت تفسر القرآن للنساء ، وفي بعض الأيام كانت تفسر (كهيعص) اذ دخل أمير المؤمنين (ع) فقال لها : نور عيني . سمعتك تفسرين (كهيعص) للنساء ، فقالت نعم ، فقال عليه السلام هذا رمز لمصيبة تصيبكم يا عترة رسول الله ثم شرح لها المصائب فبكت بكاءً عالياً صلوات الله عليها^(٢) .

ولم تكن سلام الله عليها تعلم هذه العلوم العظيمة فحسب ، بل كانت على معرفة عميقة واطلاع واسع بخفايا الأمور وأسرار الكون والمغيبات حيث كانت تتطلع في وجه الشخص فتعرف منيته ، وهذا ما يظهر من الفاضل الوربندي وغيره (انها عليها السلام كانت تعلم علم المنايا والبلايا كجملة من اصحاب أمير المؤمنين (ع) مثل ميثم التمار ورشيد الهجري^(٣)) ولعل ما يؤيد ذلك إخبارها بقرب منية يزيد حينما أدخلت مع باقي النسوة في مجلسه كما سيأتي وتطلعت في وجهه قالت (وهل رأيك إلا فند وجمعك إلا بدد وأيامك إلا عدد وهكذا صدقت نبوءتها حيث لم يعيش بعد ذلك إلا أياماً معدودات .

(١) سفينة البحار جزء ١ ص ٥٥٨ .

(٢) وفاة زينب الكبرى - الشيخ فرج آل عمران - ص ١٢ .

(٣) نفس المصدر ص ١١ .

(وهكذا كانت زينب (ع) وأسلافها الأطهار علماء ربانيين ، فسروا لغز الحياة وألقوا الضوء على كل شيء من أمر الإنسان والكون والاجتماع^(١)) وبما يؤيد تلك المكانة العلمية العظيمة لها رواية اثنين من الأئمة الأطهار لأحاديثها واستشهادهم بكلامها فقد نقل النقدي في كتاب زينب الكبرى صفحة ٣٥ أن الإمام علي بن الحسين (ع) روى عنها كما روى أن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) قال : قالت عمتي) .

(وهذه شهادة لا ترتقي اليها شهادة ، اذ إن من ادلى بها كان أول من أسس الحوزة العلمية في الإسلام ، حيث صارت هذه المؤسسة ترفد العالم الإسلامي بملايين الفقهاء والكتاب والخطباء والأدباء والأطباء والفلاسفة وعلماء الكيمياء^(٢)) .

(كما روى عنها عبد الله بن جعفر وفاطمة بنت الحسين الصغرى وغيرهم^(٣)) .

ومن روى عنها أيضاً حبر الأمة عبد الله بن عباس وكان يقول (حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي) كما تشير إلى ذلك الدكتور بن الشاطيء في كتابها

(١) في رحاب بطلة كربلاء - ابراهيم محمد خليفة - ص ٤٢ .

(٢) في رحاب بطلة كربلاء - ابراهيم خليفة - ص ٤٣ .

(٣) زينب الكبرى - النقدي - ص ٣٥ .

السيدة زينب (ع) ص ٥٣ ، وهو الذي روى خطبة أمها الزهراء (ع) في فذك
فحفظت خطبة أمها الزهراء نصاً ثم رواها ابن عباس عنها ولولا زينب لما وصلت
خطبة الزهراء (ع) إلى مسامعنا ، كما قال (ابو الفرج) «زينب العقيلة هي التي
روى ابن عباس عنها كلام فاطمة صلى الله عليها في فذك فقال حدثني عقيلتنا
زينب بنت علي (ع)»^(١) .

وهكذا أصبحت الحوراء زينب عليها السلام جامعة علمية في كافة
الميادين الدينية والفقهية والتربوية والأخلاقية تخرج منها الرواة والعلماء ، كما
نستمد منها مشروعية تعلم المرأة إذ هي القدوة للمرأة المسلمة وبالخصوص تلك
التي باشرت شؤون المجتمع وتصدت لخدمة العقيدة ، وحيث يعتبر وجود العلم
شرطاً من شروط تصدي المرأة وحضورها في ساحة المجتمع ، لأن كل عمل
مرفوض من قبل الله تعالى (سواء كان ذلك العمل اجتماعي أو غيره) حتى يضاء
بنور المعرفة كما في في الحديث (لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة^(٢)) .

وهكذا نجحت الحوراء زينب عليها السلام في تصديها لخدمة الدين .
وأدت دورها على أكمل وجه حيث كانت تحمل من المعارف والعلوم ما اعانها
على ذلك . وحتى أصبحت تسد مسد الامام المعصوم حجة الله في أرضه الامام
زين العابدين أبان مرضه .

(١) زينب الكبرى - النقدي - ص ٣٥ .

(٢) زاد المبلغين - محسن عطوي - ص ٨٧ .

كما أشار إلى ذلك الصدوق محمد بن بابويه حيث قال في حقها (كانت زينب (ع) وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام حتى برىء الإمام زين العابدين (ع) من مرضه^(١)).

وبهذا الشرط وهو توفر العلم والمعرفة إضافة إلى الشرط الأول وهو الإيمان بالله ، تصبح الحوراء زينب عليها السلام قد قدمت لنا مؤهلات الداعية الإسلامي والمرأة المتصدية وليساهم هذان الشرطان في رفعة صاحبها وانتصار مبادئه وأهدافه كما قال تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات^(٢)﴾ .

(١) وفاة زينب الكبرى- الشيخ فرج آل عمران- ص ١٣ - ١٤ .
(٢) سورة المجادلة آية ١١ .

زينب بين الحجاب والتصدي

يعتبر هذا الباب من أهم أبواب البحث ذلك لأنه يتضمن التطرق لإشكالية حقيقية تواجهها المرأة الداعية والمتصدية للعمل والحاضرة في مسرح الأحداث ألا وهي كيفية التوفيق بين العمل والتصدي وبين الحجاب والحشمة .

ولأن الذين حاربوا وجود المرأة في ساحات التحرك والعمل عللوا ذلك بأنه يتنافى مع حجابها وحشمتها ، ولأن البحث شائك لا بد لنا من مقدمة لتوضيحه .

العمل ينقسم الى قسمين :

قسم يرتبط بالشؤون الحياتية والمعاشية كالتجارة والزراعة والحياكة والخياطة وما شابه ذلك وقسم يرتبط بخدمة العقيدة ونشر الدين .

بالنسبة إلى العمل الحياتي ظلمت المرأة ازاء مرتين ، المرة الأولى حينما

اغترت بصيحات التحرر وُخِدت بشعارات المساواة بين الرجل والمرأة ،
فخرجت تنافس الرجل في العمل والمصنع ، وحشرت نفسها في أوساط الرجال
ليصبحوا أكثر قدرة على ابتزازها وسحق كرامتها كأمرأة بشعورها وأحاسيسها
والتعامل معها كأداة من أدوات الإغراء والترويح عن النفس .

وهكذا ظلمت المرأة وأهينت شخصيتها .
أما المرة الثانية التي ظلمت فيها المرأة ، فذلك عندما أصبحت رقاً في
أيدي البعض الذين فهموا الشريعة فهماً خاطئاً بعد أن أصيبوا بردة فعلٍ
معاكسة من جراء فتح الغرب الباب على مصراعيه أمامها فراحوا يقيدونها بقيود
التخلف والجهل ، ويمنعونها من العلم والعمل ، وقد سبقت في الباب الماضي
إشارة خاطفة إلى ذلك .

وهكذا ظلمت المرأة مرة أخرى وأهينت شخصيتها بعد أن أغفلت في
شئى جوانب الحياة ، وهُمش دورها ، وأصبحت بعيدة كل البعد عن الساحة
والأحداث .

والشريعة الإسلامية تعارض كلا المنهجين وتعتبرهما تجنباً على المرأة
وهضم لحقوقها ، وذلك أن النظرية الإسلامية تقول : « لا افراط ولا تفريط » .
فالإسلام لا يفتح الباب على مصراعيه أمام المرأة لتذهب وترمي بنفسها في جوقه
المعامل والمصانع غير مراعيه للحجاب والحشمة ولا آبهة بالوبال الذي تجره

عليها قبل غيرها من جراء وجودها متكشفة متبرجة في أوساط الرجال ، كما أنه لا يُغلق عليها أبواب العمل والتحصيل ويحرمها من فرحة المشاركة الفعلية للمجتمع والمساهمة في دفع عجلة الانتاج وانما يسمح لها بمزاولة الكثير من الأعمال بل يشجعها على ذلك ويعتبره رصيذاً في طاقات المجتمع ، ولكنه يضع شروطاً وقيوداً لذلك .

(١) أن يكون مقر عملها البيت ، فالمرأة تستطيع أن تعمل كثيراً من الأعمال في البيت كالخياطة والحياكة والرضاعة والتجارة وهكذا كن أفضل نساء الأرض كمريم ابنة عمران وخديجة أم المؤمنين وفاطمة الزهراء ، وهن النساء الكاملات ، فمريم ابنة عمران كانت تعمل في بيتها بغزل الصوف ، حتى ان نبي الله عيسى (ع) لما رفع إلى السماء كان يلبس مدرعة صوف من غزل وحياكة أمه مريم كما في الخبر عن أبي عبد الله السلام قال : (رُفِعَ عيسى بن مريم (ع) بمدرعة صوف من غزل مريم ونسيجها وخياطتها فلما انتهى إلى السماء نُودي يا عيسى يلقي عنك زينة الدنيا^(١)) .

كما كانت أم المؤمنين خديجة الكبرى تمارس أقوى وأنشط عمل تجاري ، حيث كانت أثري امرأة في العرب ، وكانت تجارتها هي مضرب مثل القرآن في قوله (رحلة الشتاء والصيف) وكانت خديجة (ع) تدير تلك التجارة من منزلها حيث كانت ترسل العمال لبيعها لقاء أجرة معينة .

(١) البرهان - ج ١ - ص ٢٨٥ .

وكما كانت خديجة تمارس عملها في بيتها كانت ابنتها الزهراء (ع) كذلك حيث كانت تعمل بالغزل والنسيج ، كما في رواية أن الإمام علي (ع) انطلق إلى جاره اليهودي يُقال له شمعون يعالج الصوف فقال له : هل لك أن تعطيني جزءاً من صوف تغزلها بنت محمد (ص) بثلاثة أصوع من شعير؟ قال : نعم ، فصارت فاطمة (ع) في كل يوم تغزل ثلث الصوف إلى ثلاثة أيام^(١) .

فالمراة تستطيع أن تمارس الكثير من الأعمال وأن تشارك في زيادة الانتاج دون الحاجة إلى الخروج من البيت .

(٢) يسمح الإسلام كذلك أن تخرج المرأة خارج البيت لتعمل في حالة الاضطرار ولكن بثلاثة شروط :

- (أ) أن لا يتعارض ذلك العمل مع حقوق الأسرة .
- (ب) أن تحافظ على كامل حجابها وحشمتها .
- (ج) أن تبعد كل البعد عن الاختلاط بالرجال .

كما كانت بنتا نبي الله شعيب تتجنبان الاختلاط بالرجال حين دعتهما الحاجة إلى السقي خارج البيت كما قال تعالى في سياق قصة بني الله موسى (ع) ﴿وَمَا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ

(١) تفسير البرهان - ج ٤ - ص ٤١٢ .

تذودان قال ماخطبكما ، قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير^(١) .

هكذا يصور القرآن الكريم بنتي نبي شعيب (ع) بقوله (تذودان) أي تمنعان أغنامهما عن الورود على الحوض ، لأنها كرهتا الاختلاط بالرجال فكانتا تنتظران نهاية السقاية^(٢) .

بهذه الطريقة تمنع وجود السبب الذي ربما يُلجئها إلى الاختلاط بالأجانب بعكس الكثير من النساء هذا اليوم حيث تبحث عن وجود مبرر ولو تافه لتختلط بالرجال ، كالخروج في الأسواق بحجة شراء حاجيات المنزل وملابس الأطفال ثم تخرج في أوساط الرجال وهكذا تقع الكارثة .

إلا أن الذي لفت انتباه نبي الله موسى (ع) انه رأى هاتين المرأتين تدافعان الأغنام بشدة متناهية وهم في حالة من الإعياء فجاء ليقدم خدمة إلهية فقال ما خطبكما فقالتا ﴿لانسقي حتى يصدر الرعاء﴾ لا يمكن أن نذهب نحو الماء والرجال هناك إلا أن يذهبوا عنه ثم توضحان الحاجة الملحة التي دعتهما إلى الخروج للإستسقاء حيث قالتا ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ .

فالإسلام لا يمنع المرأة من العمل وإنما يضع أمامها شروطاً وقيوداً حتى تستمر عجلة الحياة بشكل هادئ .

(١) سورة القصص آية ٢٣ .

(٢) من هدى القرآن - المدرسي - ج ٩ - ص ٢٩٢ .

ولأن سد الباب أمام المرأة يعني تعطيل نصف طاقات المجتمع . هذا على صعيد العمل الحياتي ، أما على صعيد العمل الديني فإن المسألة تكون أكثر أهمية والحاحاً إذ ان دخول النساء في ساحة العمل والتصدي لنشر العقيدة يُعتبر واجباً كفائياً إذا تركه الجميع من النساء أثمن وكما تشير الآية ﴿١١﴾ .. فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم . . ﴿١١﴾ فحين نعتبر أن الرجال فرقة والنساء فرقة يتعين أن ينبري قسم من الرجال للتصدي وقسم من النساء كذلك ، ولأن الرجال لا يستطيع أن يبلغ في أوساط النساء ويوضح القضايا الفقهية وغيرها وخاصة تلك التي تخص المرأة بالذات فعليه لا بد من تصدي بعض النساء للخدمة الاجتماعية ولرفع مستوى الوعي الديني .

وهكذا يشجع الإسلام المرأة على المشاركة في كل ما يساهم في رفع مستوى الوعي في المجتمع وخدمة الدين وإن استلزم خروجها من البيت ولكن بحيث لا يتعارض مع الحقوق البيئية وبحيث تكون محتفظة على حجابها وحشمتها وبعيدة عن الإختلاط . فهي حينما تذهب لتشارك في ندوة فكرية أو ثقافية أو تذهب لصلاة جماعة أو محاضرة دينية لا بد لها أن تبتعد عن الإختلاط نهائياً ، بل وتكون معنية بالحجاب أكثر من غيرها لأنها وضعت نفسها في قمة النساء فهي القدوة بالنسبة لهن .

وهكذا كانت الحوراء زينب (ع) حين نذرت نفسها لخدمة دينها لم يراها

(١) سورة التوبة آية ١٢٢ .

رجل أجنبي قط ، حتى ألجأتها الدواهي إلى ذلك بعد فاجعة كربلاء ، وكانت مع ذلك في قمة الوقار والحجاب والحشمة . فهذا يحي المازني يحدث عن خفارتها وصونها يقول : (كنت مجاوراً لأمر المؤمنين (ع) في المدينة مدة مديدة ، وكنت بالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته ، فلا والله مارأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً ، وكانت إذا أرادت أن تزور قبر جدها رسول الله (ص) تخرج ليلاً الحسن (ع) عن يمينها والحسين (ع) عن شمالها وأبوها أمير المؤمنين (ع) أمامها ، فإذا قربت من الروضة النبوية سبقها أبوها أمير المؤمنين فأخذ ضوء القناديل ، فسأله الحسن عن ذلك مرة ، فأجابه (ع) أي بني إني أخشى أن هناك أحداً ينظر شخص أختك زينب(ع)^(١) .

والإمام علي (ع) وهو الإمام المعصوم ذو العقل الراجح لم يكن ليظفيء القناديل عبثاً أو وسوسة وإنما لسبيين :

أولاً : كانت زينب بعلمها وورعها وذكائها وتلك الصفات التي لم تجتمع في امرأة غيرها محطاً لطموحات كثير من رجالات المدينة وغيرها ، فكل يعني نفسه بالزواج منها ومصاهرة أمير المؤمنين (ع) وكانت بقدر ماطر صيتها في البلاد متخفية عن الأنظار لا يراها الرجال قط إلا على ألسن اللواتي لم يستطعن أن يخفين إعجابهن العميق .

(١) عقيلة بني هاشم - علي الخطيب - ص ١٣ .

فإن وريثة آداب الرسول (ص) وعلم أمير المؤمنين (ع) وروعة الزهراء (ع) لم يغفل التاريخ عن وصف صورتها شيئاً كما تقول بنت الشاطئ في كتابها السيدة زينب ص ٥٢ (تمسك المراجع التاريخية عن وصف صورتها لنا في تلك الفترة ، إذ هي في خدرها محجبة لا تكاد نلمحها إلا من وراء ستار ، غير أنها سوف تخرج من خدرها بعد عشرات السنين في محنة كربلاء وإذ ذاك يصفها لنا من رآها رأي العين فيقول كما نقل الطبري ، «وكانني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس طالعة - فسألت عنها ، فقالوا : هذه زينب بنت علي (ع)» هكذا كانت متخفية عن الأنظار وهي على تلك المنزلة من جمال الشكل والطوية ، فيتمنى كل الملوك قبل غيرهم كملك كندة بمصاهرة أمير المؤمنين والفوز بعقيلة البيت العلوي ، فيمني النفس بنظرة ولو خاطفة ، إلا ان البصر يرجع خاسئاً وهو حسير .

وحيث كان أمير المؤمنين (ع) يعلم بما يدور حوله كان يحرص كل الحرص على أن لا يرى أحدٌ ولو من بعيد شخص ابنته المصونة ولهذا يقول لابنه الحسن (ع) اني أخشى أن هناك أحداً ينظر الى شخص اختك زينب (ع) .

ثانياً : كان الإمام أمير المؤمنين (ع) وهو العالم بأسرار المغيبات وهو القائل (سلوني عما يكون الى يوم القيامة^(١)) .

(١) الامام علي (ع) من المهدي الى اللحد السيد محمد القزويني ص ٢٠٣ .

يعلم بما سيدور على أولاده وفلذات كبده من بعده ، كما كان يعلم أن ابنته هذه ستعرض للسبي مع باقي نساء العترة الطاهرة فكان (ع) يجد لوعة الحادثة في قلبه قبل وقوعها ، فانعكس ذلك على خوفه إلى هذه الدرجة .

كما يراد أن يعطي القضية بعداً آخر يوضح هول الخطب وفادح الأمر ، حيث ان هذه السيدة الجليلة لم يكن أحدٌ ليرى حتى ظلها أو شخصها من بعيد والآن تجر في الأسواق من بلد إلى بلد، ولئن كانت الحوراء زينب (ع) بعيدة عن الظهور بشخصها في مجتمعا إلا أنها كانت حاضرة ترقب أحداثه التي سرعان ما تبدلت إلى الأسوأ فكانت تحمل على كاهلها مسؤولية رفع مستوى الوعي والوقوف أمام حملة تزوير العقيدة وتشويه الدين حيث «كان لها مجلس خاص لتفسير القرآن الكريم تحضره النساء»^(١) .

هكذا كانت تجمع بين تصديها للساحة واهتمامها بالأحداث وبين حجابها وحشمتها التي لا تطاول .

وهكذا كانت أيضاً حين رمى بها الدهر الخثون في دوامه من المصائب والأحزان بعد معركة كربلاء ، فلم يكن المصاب على ضخامته ليفقدها توازنها ولم تكن ترى أحبتها وعشيرتها مجزرين كالأضاحي لتفقد وقارها ، بل كانت كالجبل الأشم في أنفتها وكظلمة الليل في حجابها . ولهذا حينما رأت راس أخيها

(١) سفينة البحار جزء ١ ص ٥٥٨ .

الحسين (ع) يحمله رمح طويل ضربت رأسها بمقدم المحمل فخرج الدم من تحت قناعها وهذا يؤكد انها رغم هول هذه الفادحة ضلت محافظة على حجابها وخمارها .

ولما كانت في الكوفة تعاتب أهلها وهي تذكي بذلك هب الثورة التي انفجرت فيها بعد كانت تجمع بين حجابها وخفرتها وبين أداء مسؤوليتها الدينية ولهذا يقول خزيم بن بشر الأسدي «نظرت الى زينب بنت علي عليهما السلام يومئذ فلم ار خفرة انطق منها^(١)» والخفرة في اللغة هي المرأة الشديدة الحياء^(٢) .

كما انها حينما ادخلت مع باقي النسوة والامام زين العابدين (ع) على ابن زيادلبست أرذل ثيابها وتنكرت ومضت حتى جلست في ناحية من القصر وحف بها اماؤها^(٣) .

وقد قال عنها الشيخ عبدالله المامقاني في كتاب تنقيح المقال(أنها من الحجاب والعفة فريدة لم ير شخصها احد من الرجال من زمان ابيها واخويها الى يوم الطف)^(٤) بل حتى في كربلاء ومابعدا كانت في غاية المحافظة على حجابها ووقارها كما هو . وهكذا أكّدت الحوراء زينب (ع) ان العمل والتحرك لم يكن بديلاً عن الحجاب والحشمة بل هو ملازم له ولا ينفك عنه .

(١) زينب بنت أمير المؤمنين علي دخیل ص ٤٩ نقلاً عن كتاب السيدة زينب حسن محمد قاسم .

(٢) المنجد في اللغة الطبعة الحادية والعشرين ص ١٨٨ يقال خفرة استحييت اشد الحياء .

(٣) اعيان الشيعة جزء ١ ص ٦١٤

(٤) تنقيح المقال جزء ٣ ص ٧٩ .

الفصل الثالث

- الزواج المبارك -

ملك كنده يخطب العقيلة

ذات يوم وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه جالس في داره ، دخل عليه رجل بسن الطول عليه مسحة من جمال ومظهر من عنف وقوة ، لكنه قد صار إلى الكهولة وخطا نحو الكبر ، ف وقعت عينه ، على فتاة قد أضاء صباها ولمع حسنها وهي تدرج بين يدي علي ، أما الفتاة فحين رأت رجلاً قد دخل على حين غفلة فإنها أسرع إلى داخل البيت عجلت تتعثر في ذيلها ، وأما الرجل فكان قد رآها وملاً عينيه منها وأعجبه حسنها . رآها الرجل خفرة بيضاء ، كأنها الشمس طالعة أحسن من مها بسيرين ما رأت عينه مثلها من الخفريات البيض ، وما كادت الفتاة تدخل إلى بيت علي مسرعة عجلت ، ولم تقض حاجتها التي جاءت من أجلها حتى قال الرجل لعلي : من هذه الفتاة ؟

قال علي : هي ابنتي زينب

قال الرجل : زوجنيها .

فقال علي وقد أغضبه هذا القول من كهل وضيع : اغرب - اغرب . . .

أغرك ابن أبي قحافة حين زوجك أم فروة ؟

وكان الرجل الذي دخل على الامام وخاطبه بهذا القول حتى أغضبه
وساءه كان هو الأشعث بن قيس الكندي .

هكذا صور الكاتب عبد العزيز سيد الأهل في كتابه زينب عقيلة بني
هاشم المناسبة التي خطب فيها الأشعث بن قيس الكندي (ملك كنده) زينب
بنت أمير المؤمنين(ع) ، إلا أن الكاتب لم يكن موفقاً في ذلك وإن كان في حسن
نية .

ذلك أن الأشعث بن قيس وإن كان ملك كنده لم يكن ليدخل بيت
علي(ع) دون استئذان ، ولم يكن علي(ع) وهو الفارس العتيق ليترك الأرض
عطشى من دمه بعد أن رآه يحدق النظر في ابنته زينب وقد ملأ عينيه منها بعد أن
دخل على حين غفلة .

ولم يكن التاريخ ليعرض الأقلام الأدبية التي تعتمد الإثارة والمفاجئة
وسيلة لكسب المشاعر حتى يتعرض للزيادة أو النقصان .

ولم يكن أي مصدر من مصادر التاريخ قط ، قديم أو حديث لينقل أن
الأشعث دخل يوماً على أمير المؤمنين(ع) في بيته على غفلة وقد أشبع نظره من
ابنته .

وكل ما نقله التاريخ في خطبة الأشعث زينب بنت أمير المؤمنين(ع) إنه «خطبها الأشعث بن قيس وكان من ملوك كنده على ما في الإصابة ، فزبره أمير المؤمنين(ع) وقال : يابن الحائك أغرك ابن أبي قحافة حين زوجك أخته أم فروة فقال للامام وهل كانت إلا أخت خليفة .

فرد الامام عليه : إنها لم تكن من الفواطم والعواتك .

وغضب الأشعث ، ولمح لعلي أنه لا ينسى رده وأنه الفاتك الشجاع . فقال الامام(ع) «أبالموت تهددني فوالله ما أبالي أوقعت على الموت أم وقع الموت علي»^(١) .

وبعد أن خطبها الأشراف من العرب ورؤساء القبائل فكان أمير المؤمنين(ع) يردهم لم يجد بداً أن يوصد الباب صراحة في وجه كل من يطمح بالفوز بزهرة البيت العلوي من الرؤساء والأشراف ولهذا جاء رد الأشعث قاسياً .

ولم يكن ليطاول هذا البيت في شموخه إلا من تربى على يدي الرسول وأمير المؤمنين(ع) وكان قبل كل شيء ينتميه في النسب القريب ، ذلك هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ولم أجد في التاريخ عائلة أقرب إلى أهل البيت

(١) العقد الفريد جزء (٣) ص (٣٠١) ومقاتل الطالبين ص (٣٤) .

من عائلة جعفر بن أبي طالب ، بل تداخلت العائلتان حتى أصبحت عائلة واحدة .

جعفر بن أبي طالب :

فجعفر بن أبي طالب أقرب إخوة الإمام علي(ع) إلى نفسه وما كان أحد يطلب منه حاجة ثم يقول له بحق جعفر عليك إلا قضاها له . كما أن جعفر كان ثالث من آمن بالرسول(ص) بل كانت أول صلاة جماعة أقيمت في الإسلام كانت تضم الرسول(ص) والامام علي(ع) عن يمينه وجعفر بن أبي طالب عن شماله^(١) .

وينقل عنه صاحب كتاب أسد الغابة في الجزء الأول صفحة (٣٤١) انه كان أشبه الناس برسول الله(ص) خلقاً وخلقاً أسلم بعد اسلام أخيه علي بقليل ، كما نقل الهندي في كتابه كنز العمال عن أنس عنه(ص) انه قال : نحن بنو عبد المطلب قادة أهل الجنة وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي^(٢) .

وكان يحتل مكانة عظيمة في قلب الرسول(ص) حتى أن الروايات تقول ، صادف وصول جعفر من الحبشة إلى المدينة يوم فتح خيبر ، فاعتنق

(١) أبو طالب - ص ٥٠ .

(٢) كنز العمال - رقم ٣٧١٦٢ - ج ١٢ .

رسول الله (ص) جعفر وأخذ يقبله بين عينيه وهول يقول : (لا أدري بأيهما أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر)^(١) .

وأي دليل يكشف عن المكانة العميقة التي احتلها جعفر في قلب الرسول (ص) أكبر من أن يقبله الرسول سيد الكائنات بين عينيه وحين يقول هذه الكلمة (لا أدري بأيهما أشد فرحاً بفتح خيبر أم بقدوم جعفر) لم يكن هذا الكلام ليخرج عبثاً أو ممزوجاً بعاطفة القرابة من رسول الله (ص) ذلك أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وإنما أراد الرسول (ص) أن يشير إلى حقيقة قد تغيب عن الأذهان وهي : أن المكسب الذي ربحه الاسلام من عودة جعفر يعادل المكسب الذي ربحه الاسلام من فتح خيبر ولأن الرسول (ص) لم يكن ليفرح أو يحزن إلا للدين والأحداث التي تؤثر فيه سلباً أو إيجاباً .

كما أن هذه الكلمة بقدر ما توضح الفرح الكبير الذي شرح في قلب الرسول (ص) بقدومه فإنها تعكس الحزن العميق الذي استولى عليه (ص) بعد أن قضى نحبه ، فبعد أن استشهد جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة أمام جنود هرقل «وكان أول من عقر في الاسلام كما يقول ابن اسحاق ، بعد أن أخذ الراية بكلتا يديه حتى قطعتا»^(٢) حزن الرسول (ص) حزناً شديداً كما روي في

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص (١١) .

(٢) أسد الغابة - ج ١ - ص ٣٤٣ .

أسد الغابة أن رسول الله (ص) لما أتاه نعي جعفر ، دخل على امرأته أسماء بنت عميس فعزاها فيه ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول «واعماه ، فقال رسول الله (ص) على مثل جعفر فلتبكي البواكي ، ودخله من ذلك همٌ شديد حتى أتاه جبرئيل فأخبره أن الله قد جعل لجعفر جناحين مخرجين بالدم يطير بهما مع الملائكة ، ولما قتل وُجد به بضع وسبعون جراحه ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح كلها في ما أقبل من بدنه بل قال ابن سعد في طبقاته عن ابن عمر أنه وجد فيها أقبل من بدن جعفر تسعين ضربة . ويقدر ما كان فارس الحروب وليث المعارك فقد كان أمير البيان فصيح اللسان حتى ذكر له التاريخ أبياتاً يرددها في حمى الوطيس وقلب المعركة وهي :

ياحبذا الجنة واقتراها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي أن لاقيتها ضرابها»^(١)

أسماء بنت عميس :-

أما زوجته أسماء بنت عميس فإنها كانت ملازمة للزهراء (ع) في كل الأحوال والمناسبات ، والمستقرىء لأحداثها في التاريخ يجد هذا الأمر واضحاً ، فهي كانت إلى جنب الزهراء (ع) تخفف عنها آلام الولادة بالحسن (ع) كما ذكر الخميس في الجزء الأول صفحة (٤٧٠) أنه لما حان وقت ولادة الزهراء (ع) بالإمام الحسن (ع) بعث إليها رسول الله (ص) أسماء بنت عميس وأم أيمن فقرأتا

(١) شهداء الإسلام في عهد النبوة - الدكتور علي سامي النشار - ص ٨٦ .

عليها آية الكرسي والمعوذتين ، وحدثت أسماء فقالت ، قبلت فاطمة بالحسن(ع) فلم أرَ لها دماً فقلت يارسول الله إني لم أرَ لفاطمة دماً فقال(ص) : أما علمتي أن فاطمة طاهرة مطهرة لا يُرى لها دم في طمث ولا ولادة»^(١) .

وكما كانت حاضرة عند الزهراء(ع) في ولادتها الحسن الزكي كانت كذلك في ولادتها بالحسين^(٢)(ع) وكانت ملازمة لها حين وفاتها أيضاً عليها السلام فهي التي استقبلت الحسين لتهدىء من روعهما»^(٣) .

وقد شهد لها رسول الله(ص) بالآيمان حين قال «الآخوات المؤمنات هي أسماء بنت عميس وميمونة أم المؤمنين وسلمى زوج حمزة بن عبد المطلب ولبابة زوج العباس بن عبد المطلب(ع)» وهن أخوات من النسب .

كما كانت امرأة كريمة شريفة ذات رأي وجد وعلم وتجربة وحجة وبيان ولم تكن تصبر على مذلة أو تبیت على ضيم ، هاجرت هجرتين :

-
- (١) حياة الامام الحسين بن علي(ع) - باقر شريف القرشي - ج ١ - ص ٦٠ .
 - (٢) حياة الامام الحسين(ع) باقر شريف القرشي ص (٢٧) جزء (١) .
 - (٣) فاطمة الزهراء من المهدي إلى اللحد السيد محمد كاظم القزويني ص (٦١٧) .
 - (٤) زينب بطولة وجهاد - حبيب آل جميع - ص ١٥ .

أولاهما في المسلمين الاولين مع زوجها جعفر إلى الحبشة ، وثانيهما إلى المدينة مع زوجها جعفر وابنها عبدالله^(١) .

عبدالله بن جعفر :-

أما ابنها عبدالله فبالإضافة إلى أنه من هذه الشجرة الطيبة وهذين الأبوين المؤمنين المهاجرين ، فقد تربى في رعاية الرسول(ع) وكفالاته كما درج في أحضان عمه أمير المؤمنين(ع) وقد قال فيه رسول الله(ص) (وأما عبدالله فيشبه خلقي وخلقي ثم أخذ بيده فقال : اللهم اخلف جعفرأ في أهله وبارك لعبدالله في صفقة يمينه قالها ثلاث مرات ، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة)^(٢) .

كما بايع الرسول(ص) وهو صغير لم يبلغ بعد كما اخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين(ع) ، أن النبي(ص) بايع الحسن(ع) والحسين(ع) وعبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر وهم صغار لم يبقوا (يقال : بقل وجهه : إذا نبت لحيته ولم يبلغوا)^(٣) .

وقد كان رسول الله(ص) يخص عبدالله بن جعفر بأسرار لم يطلع عليها أحداً سواه وذلك لكبر منزلته عنده^(٤) .

(١) زينب عقيلة بني هاشم - عبد العزيز سيد الأهل - ص ١٨ .

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة - ج ٢ - ص ٢٨٩ .

(٣) حياة الصحابة - محمد يوسف الكاندهلوي - ج ١ - ص ٢٣٧ .

(٤) زينب بنت علي بن أبي طالب - عبد العزيز الكرم ومحمود الصحاوي - ص ١٤ .

(كما روى مسلم عن طريق الحسن بن سعد عن عبدالله بن جعفر قال :
أردفني رسول الله(ص) ذات يوم فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من
الناس)^(١) .

وكان يحتل مكانة كبيرة واهتماماً بالغاً عند الرسول (ص) وذلك لثلاثة
أسباب :

أولاً : لمكانة أبيه جعفر عند الرسول(ص) .

ثانياً : لأنه يتيم وابن شهيد وقد كان الرسول(ص) يداري الأيتام ويحبهم
وبالذات أيتام الشهداء .

ثالثاً : لأن الرسول(ص) هو وليه بعد أبيه كما نقل في الاصابة الجزء الثاني
صفحة (٢٨٩) أنه قال في أولاد جعفر (وأنا وليهم في الدنيا والآخرة) .

وكان الرسول(ص) دائم السؤال عن عبدالله يتعاهده ويعلمه ويؤدبه وكان
لا يغيب عن عينه حتى إذا رآه يلعب مع الأطفال كان يراقبه من بعيد ثم يشده
الشوق إليه فيأتيه ليلاطفه ، وذات مرة ، مرّ به النبي(ص) وهو يصنع شيئاً من
طين من لعب الصبيان فقال (ص) ما تصنع بهذا ؟ قال أبيعه ، قال ما تصنع
بثمنه ؟ قال أشتري رطباً فأكله ، فقال النبي(ص) : اللهم بارك له في صفقة
يمينه ، فكان يُقال ما اشترى شيئاً قط إلا ربح فيه^(٢)

(١) الاصابة في تمييز الصحابة - ج٢ - ص ٢٨٩ .

(٢) الغارات - ابراهيم اصفهاني - ج٢ - ص ٦٩٣ .

وكانت أكبر صفقة في حياته هي فوزه دون سواه بعقيله البيت العلوي ووريثة الرسول والزهراء وأمير المؤمنين عليهم السلام .

وما كادت زينب(ع) تتزوج ابن عمها عبدالله بن جعفر حتى وفد عليه الرزق من المال والولد وامتلك الضياع وفاضت أرضه بالثمار والغلات ، ووفد أهل المدينة وأبناء السبيل في حاجاتهم على بابه ، باب زينب بنت الزهراء ، وجعلت وراثته من أبيه جعفر تخرق كفه وتهلك ماله ، وجعل يضاهي بصدقته وجوائزه صدقات صهرية الحسن والحسين(ع) وجوائزهما^(١) .

سخاؤه وكرمه :

وأخبره في جوده وحلمه وكرمه كثيرة لا تحصى حتى كان يسمى بحر الجود^(٢) كما كان يُقال له قطب السخاء^(٣) .

ويُنقل عنه في الإصابة عن الدار قطني في الأفراد من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال : جلب رجل من التجار سكرًا إلى المدينة ، فكسد عليه فبلغ عبدالله بن جعفر ، فأمر قهرمانه أن يشتريه ويهبه للناس . كما أخرج الطبري والبيهقي في نفس المصدر في الشعب من طريق ابن اسحاق

(١) زينب عقيلة بني هاشم - عبد العزيز سيد الأهل - ص ٢١ .

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة - ج٣ - ص ٩٥ .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة - ج٢ - ص ٢٨٩ .

والمالكي قال : وجه يزيد بن معاوية إلى عبدالله بن جعفر مالاً جليلاً هدية ففرقه في أهل المدينة ولم يدخل منزله منه شيئاً ، وفي ذلك يقول عبدالله بن قيس الرقيات .

وماكنت إلا كالأغر ابن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا

وأخرج ابن أبي الدنيا والخرائطي بسند حسن إلى محمد بن سيرين أن دهقاناً من أهل السواد كلم ابن جعفر في أن يكلم علياً في حاجة فكلمه فيه فقضاها فبعث إليه الدهقان اربعين ألفاً فردها وقال إنا لا نبيع معروفاً^(١) .

وذات مرة جاءه شاعر فأنشدته هذه الأبيات :

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخز ذراعه
نقلت إلى صاحبي أمرها فقال ستؤتي بها الساعة
سيكسوكها الماجد الجعفري ومن كفه الدهر نفاعه
ومن قال للجود لا تعدي فقال لك السمع والطاعة

فقال عبدالله لغلامه ادفع اليه جبتي الخز ثم قال له : ويحك ، كيف لم ترَ جبتي الوشي التي اشتريتها بثلاثمائة دينار منسوجة بالذهب فقال : أغفي غفية أخرى فلعلي أراها في المنام .

(١) الاصابة في تمييز الصحابة - ج ٢ - ص (٢٩٠) .

فضحك منه عبدالله وقال لغلّامه : (ادفع إليه جبتي الوشي أيضاً)^(١) ومرة أخرى يأتيه سائل وهو في الطريق على راحلته فقال له الرجل يابن عم رسول الله أنا ابن سبيل ، فأخرج عبدالله رجله من الركاب ونزل عن راحلته وقال له : ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة وإياك أن تخدع في السيف فإنه من سيوف علي بن أبي طالب(ع) ، وكان في الحقيبة مطارف من الخبز وبها أربعة آلاف دينار^(٢) .

وروى الحافظ أن معاوية كان يقول : بنو هاشم رجлан رسول الله (ص) لكل خير ذكر ، وعبد الله بن جعفر لكل شرف والله لكان المجد نازل منزلاً لا يبلغه أحد وعبد الله نازل وسطه^(٣) .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب أن أجواد العرب في الاسلام عشرة وعد منهم عبد الله بن جعفر ، وكان يكنى ابو المساكين ، وكان لا يرد سائلاً قصده ، وكان يعطي الفقير قبل أن يسأله ، فسئل عن ذلك فقال : لأحب أن يريق ماء وجهه بالسؤال ، حتى قال فقراء المدينة بعد موته ، ما كنا نعرف السؤال حتى مات عبد الله بن جعفر^(٤) وقال فيه الشماخ بن ضرار ابيات مدح وهي :
انك يابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذ أتى

(١) تاريخ ابن عساکر .

(٢) المستجاد في فعلات الأجواد - ص (٦٠) .

(٣) ابن عساکر - تاريخ الشام - ج ٧ - ص (٣٢٥)

(٤) زينب بن علي بن ابي طالب - عبد العزيز الكرم وعمود الصحاري ص (١٥)

ورب ضيف طرق الحي سري صادف زاداً وحديثاً ماشتهى^(١)

وعاتبه بعض أصحابه على السخاء فقال : ياهؤلاء اني عودت الناس عادة وعودني الله عادة واني أخاف إن قطعته قطعني^(٢)
وكان اهل المدينة يتداينون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر^(٣) . وهكذا أصبح عبد الله بن جعفر بحراً من السخاء لاساحل له .

مكانته الاجتماعية :

وإذا كان عبد الله بن جعفر مأوى الضعفاء والفقراء واصحاب الحاجات فمن الطبيعي أن تُجبل القلوب على محبته لأن القلوب جُبلت على حب من أحسن اليها .

وهكذا أصبح عبد الله بن جعفر زعيماً اجتماعياً فهو من الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال والأراضي الواسعة التي يعمل فيها الكثير من اهل المدينة وخارجها . ولهذا كان معاوية يحسب له ألف حساب فكان يتودد له ويدعوه حتى انه ذات يوم كان معاوية جالساً وعنده عمرو بن العاص اذ قال الأذن قد جاء عبد الله بن جعفر بن ابي طالب فقال عمرو والله لاسوأه اليوم فقال معاوية لاتفعل ياأبا عبد الله فانك لاتنتصف منه ولعلك ان تظهر لنا من مغبته ماهو

(١) الاصابة في تمييز الصحابة - ج ٢ - ص ٢٨٩ .

(٢) الغارات - ابراهيم اصفهاني - ج ٢ - ص ٦٩٤ .

(٣) الغارات - ابراهيم اصفهاني - ج ٢ - ص ٦٩٣ .

خفي عنا وما لانحب أن نعلمه منه ، وغشيهم عبد الله بن جعفر فأذناه معاوية وقربه فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال من علي (ع) جهاراً غير ساتر له وثلبه ثلباً قبيحاً فالتمع لون عبد الله واعتراه إفك حتى ارتعدت خصائصه ثم نزل عن السرير كالفنيق فقال ، عمرو مه ياأبا جعفر فقال له عبد الله : مه لأأم لك ثم قال :

أظن الحلم دل علي قومي وقد يتجهل الرجل الخليم

ثم حسر عن ذراعيه وقال يامعاوية حتى متى نتجرع غيظك وإلى كم الصبر على مكروه وقولك ، وسيء أدبك وذميم أخلاقك ، هبلك الهبول ، أما يزجرك ذمام المجالسة من القذع لجليسك إذا لم يكن له حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك ، أما والله لو عطفتك أواصر الأرحام أو حامت على سهمك من الإسلام ما أرخيت لبني الإمام المتك والعبيد المسك اعراض قومك ، وما يجهل موضع الصفوة إلا أهل نجوة وانك لتعرف رشايط قريش وصقوة عرايرها فلا يدعونك تصويب مافرط من خطأك في سفك دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين إلى التهادي فيما قد وضح لك الصواب في خلافة ، فاقصد لمنهج الحق ، فقد طال عمهك عن سبيل الرشد وخبطك في ديجور ظلمة الغي ، فان أبيت إلا أن تتابعنا في قبج اختيارك لنفسك ، فاعفنا عن سوء القالة فينا إذا ضمنا وإياك الندى ، وشأنك وماتريد إذا خلوت ، والله حسيبك ، فوالله لولا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك ثم قال : انك ان كلفتني مالم أطلق ساءك ماسرك مني من

خلق فقال معاوية : يا ابا جعفر لغير الخطأ أقسمت عليك لتجلس لعن الله من أخرج جنب صدرك ومن جاره محمول لك ماقلت ولك عندنا مااملت فلو لم يكن مجدك ومنصبك لكان خلقتك وخلقتك شافعين لك الينا^(١) .

فالمجد والمنصب هما اللذان أجبرا معاوية على توقيره والتودد اليه ، ولما تولى الخلافة يزيد كان يحاول بشتى السبل أن يكسب ود عبد الله بن جعفر أو على الأقل يتقي شره .

فكان يرسل له الهدايا كما أخرج الطبري والبيهقي في الشعب عن طريق ابن اسحاق والمالكي قال : وجه يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر مالا جليلا هدية فرقه في اهل المدينة ولم يُخل منزله منه شيئا^(٢) .

ومما يؤكد تلك المكانة الاجتماعية العظيمة التي كان يحتلها عبد الله بن جعفر ماروى المؤرخون في وفاته من حضور أمير المدينة وشق الجيوب وازدحام الناس خلف جنازته ، كما نقل صاحب كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة في الجزء الثالث صفحة (٩٥) انه : لما توفي سنة ثمانين وهو عام الجحاف في المدينة حضر أمير المدينة إبان بن عثمان غسله وكفنه والولائد خلف سريره قد شققن الجيوب والناس مزدحمون على سريره، وإبان بن عثمان أمير المدينة قد حمل السرير بين العمودين فما فارقه حتى وضعه بالبقيع ، وإن دموعه لتسيل على خديه وهو يقول : كنت والله خيرا لاشرّ فيك ، وكنت والله شريفا وأصلا بدأ .

(١) زينب الكبرى - النقدي - ص ٨٢-٨٣ .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة - ج ٢ - ص ٢٨٩ .

أما عن حياته الزوجية مع عقيلة الطالبين

فلم يتحدث التاريخ عن ذلك بشيء سوى ذكر أولادهم حيث ذكر المؤرخون أن لهم أربعة ذكور وهم ، علي ، ومحمد ، وعباس وعون وأنثى واحدة اسمها أم كلثوم^(١) ، وقال البعض اثنتين احدهما أم كلثوم .
«ولم يفرق الزواج بين زينب (ع) وابيها واخوتها ، فقد بلغ من تعلق الامام علي (ع) بابنته وابن أخيه أن أبقاها معه ، حتى إذا ولي أمر المسلمين وانتقل إلى الكوفة ، انتقلا معه فعاشا في مقر الخلافة موضع رعاية أمير المؤمنين واعزازه^(٢) .

ولم تكن الحوراء زينب (ع) لتنتقل مع زوجها إلى مقر خلافة أبيها انبعاثاً من عاطفة القرابة فحسب ، وإنما حتى تكون على اطلاع وخبره بكل ما يدور في الساحة من أحداث ولتعد نفسها لإجتثاث جذور الانحراف وتقويم الإعوجاج الذي أوجده الأمويون في الساحة الإسلامية .

أما زوجها فلم يخفَ عليه الدور الذي ستلعبه الحوراء زينب (ع) في المستقبل القريب ، فهو الذي رآها عن قرب ولمس فيها كل تلكم الكفاءات والمؤهلات ، كما أخطر سابقاً بأنها ستخرج مع الحسين (ع) حيث اشترط عليه الامام علي (ع) ضمن عقد الزواج أن لا يمانع خروجها مع أخيها الحسين في أي وقت شاء .

(١) أعيام الشيعة - ج ٧ - ص ١٣٧

(٢) السيدة زينب - بنت الشاطيء - ص ٥٠

أما عن عدم خروجه مع الحسين (ع) «فقد قال بعضهم ان بصره كان مكفوفاً يومئذ»^(١). وظهر من السيد محمد بحر العلوم في كتابه في رحاب السيدة زينب ص (١١٥) انه كان مريضاً ، وسواء كان مكفوف البصر أم مريضاً أم كانت هناك ظروف قاهرة منعتة عن المضي مع الحسين (ع) ، لأحد يشك في اخلاصه وتفانيه في خدمة الحسن والحسين (ع) واعتقاده الكامل بأنها إمامان قاما أو قعدا ، كما يقول مغنيه في كتابه مع بطة كربلاء ص (٣٧) «والذي نعتقد ان عبد الله بن جعفر كان مطيعاً للإمامين الحسن والحسين بعد عمه ، وانه لم يخالف لهما أمراً لافي السر ولا في العلانية» .

حتى انه ذات مرة كان في مجلس معاوية فذكر ابن العاص علياً فزجر عبد الله بن جعفر في وجه معاوية ، واقتصر لأمر المؤمنين (ع) ، فأراد معاوية أن يهدئه فقال له : «لعن الله من اخرج ضب صدرك ، انت ابن ذي الجناحين وسيد بني هاشم ، فقال عبد الله كلا بل سيدا بني هاشم حسن وحسين لاينازعهما في ذلك أحد»^(٢).

هكذا كان عبد الله بن جعفر متفانياً في حب الحسين (ع) حتى إنه أوكّل أمر زواج ابنته أم كلثوم إلى الحسين (ع) عندما خطبها معاوية لابنه يزيد ، ولما كان معاوية لايطاول هذا البيت في شرفه وسؤدده رفضه الامام الحسين (ع)

(١) مع بطة كربلاء - محمد جواد مغنية - ص(٣٧) وزينب الكبرى - النقدي - ص ٨٧ .

(٢) زينب الكبرى - النقدي - ص ٨٣

وزوجها من ابن عمها القاسم بن جعفر في قضية مفصلة ذكرها ابن شهر آشوب في مناقبه في الجزء الثاني ص (١٧١) وهكذا يتضح أن عبد الله بن جعفر كان ينظر إلى الامام الحسين (ع) بأنه الامام المعصوم المفترض الطاعة ولئن كان عاجزاً عن نصرته بنفسه فلقد أرسل معه اثنين من أولاده ليخضبا بدم الشهادة بين يديه ثم ليجد سلواه في فقد الحسين أنهما استشهدا معه . كما ذكر ابن الأثير في تاريخه في حوادث سنة (٦٠) حيث قال :

كان عبد الله جالساً في بيته ودخل عليه الناس يعزونه ، فقال غلامه أبو السلاس ، هذا مالمينا من الحسين ، فحذفه عبد الله بنعله ، وقال له يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا ، والله لو شهدته لما فارقتك حتى أقتل^٤ معه ، والله انه لما يهون علي المصاب بهما ، انها أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه ، ثم أنه أقبل على الجلساء فقال : الحمد لله ان لم أكن واسيت الحسين بيدي فقد واسيته بولدي .

- الفصل الرابع -

- زينب والإستفادة من الأحداث -

زينب والإستفادة من الأحداث

الإنسان يقيّم على ضوء الأحداث التي عاصرها ، وفي علم السياسة الأحداث هي التي تصنع القادة أولاً والقادة هم الذين يصنعون الأحداث ثانياً ، وحينما تدرس حياة واحد من العظماء أو القادة لابد أن تلقي الضوء على الأحداث التي عايشها ، وكيف تفاعل معها وما هو الأثر الذي تركته في حياته .

والناس يختلفون في تعاملهم مع الأحداث من شخص لآخر ، فالبعض يعيش في الحياة سبعين عاماً أو أكثر أو أقل وتمر عليه أحداث شتى وربما بعضها يشكل إنعطافة في التاريخ أو نهاية حضارة أو ما شابه ، إلا أنه لا يتفاعل مع تلك الأحداث ولا يستفيد منها ولا يأخذ الدرس أو العظة بل هو بعيد كل البعد عن كل ما يدور في ساحته من أحداث .

والقسم الآخر من الناس هو الذي يتفاعل مع كل الأحداث الواقعة في حياته ويأخذ منها الدروس والتجارب ويعتبرها السّلم الذي يوصله إلى الهدف الذي يتحرك من أجله .

كما أن الأحداث تختلف من حدث لآخر ، فهناك الحدث السلبي الذي من شأنه أن يخلق حالة من اليأس والإحباط في نفس الإنسان وهناك الحدث الإيجابي الذي يخلق روح النصر ويبعث على التفاؤل . والإنسان مطالب بأن يتعامل مع كلا الحدثين بروح النصر ، فالهزيمة حينما تقع من شأنها أن تغلق أمام الإنسان كل أبواب الأمل ، إلا أنه حينما يتعامل مع هذه الهزيمة بروح النصر ، فإنه يستطيع أن يحول تلك الهزيمة إلى إنتصار .

وهكذا كانت الحوراء زينب (ع) فقد عاشت سلسلة متلاحقة من الهزائم والإنتكاسات من شأنها أن تجعل المرء يعيش اليأس والإنطواء ، أو يصبح قعيد الفراش مستسلماً لسوء الأقدار ، إلا أنها برغم كل ما مرَّ عليها من محن وآلام وأحداث تنهض كما لو كانت هي المنتصرة ، لتحول تلك الهزائم إلى سلسلة من الانتصارات الساحقة ، فهي حينما ترى أهل بيتها وأحبّتها مجزرين كالأضاحي على أرض كربلاء ، لم تفقد رشدها أو تموت بغصتها من تلك الهزيمة الفادحة ، وإنما تتعامل بتلك الروح العالية فتغطي جثث القتلى غير آبهة ولا مستسلمة حتى إذا ما وصلت إلى جسد أخيها الحسين ، وضعت يدها تحت جسده الشريف وقالت : اللهم إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى ، وهاهي تقف أمام ابن زياد جبلاً أشم وحين يسألها كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين وأهل بيته تقول : ما رأيت إلا جيلاً .

وهكذا حولت كربلاء من هزيمة فادحة إلى نصر مؤزر يجوب صداه في كل الآفاق ليطيح عروش الظالمين والمستقرىء للأحداث الواقعة في كربلاء والمتتبع

لسيرة الحوراء زينب (ع) وتعاملها مع تلك الأحداث لايشك في أنها كانت تُعد نفسها لمواجهة هذه المحنة منذ سنوات طوال ، فلم تكن الحوراء زينب وليدة يوم في الساحة السياسية قذفتها الأقدار قسراً إلى دوامة الصراع .

وانما كانت تعلم بالدور الذي ستقوم به في المستقبل مع أخيها الحسين (ع) ولهذا نراها مع زوجها إلى جوار أبيها أمير المؤمنين (ع) في الكوفة لتكون على دراية واطلاع بكل ما يدور في الساحة من أحداث وتطورات ولتقرب أبيها أمير المؤمنين (ع) عن قرب وتراه كيف يتعامل مع تلك الحوادث التي وقعت في عصره وكيف كان تعامله معها .

أما الأحداث التي عايشتها الحوراء زينب (ع) فهي كالتالي :

أولاً : التحاق جدها الرسول (ص) وأمها الزهراء بالرفيق الأعلى وما جرى من فتنه السقيفة وخلافة الأولين وقد مرّ الكلام عن ذلك .

ثانياً : خلافة عثمان :

بدأت أخطر انعطافة في تاريخ الخلفاء والمسلمين مع وصول عثمان إلى السلطة ، حيث قلب الأمور رأساً على عقب (وأوطأ بني أمية رقاب الناس وولاهم الولايات ، وأقطعهم القطاع ، وافتتحت أفريقية في أيامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان)^(١) .

(١) شرح النهج - ج ١ - ص (١٩٨) .

حتى صار بنو أمية يقولون بكل صراحة (المال مالنا والخراج خراجنا ، والأرض أرضنا إن شئنا أعطينا للآخرين وإن شئنا حرمانهم)^(١) .

وكما روى الشعبي قائلًا «لما دخل عثمان رحله ، يعني بعد البيعة دخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ، ثم أغلقوها عليهم ، فقال أبو سفيان بن حرب (وكان أعمى) : أعندكم أحد من غيركم قالوا : لا ، قال يا بني أمية ، تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ، ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة^(٢)» .

وهكذا تلقف بنو أمية أزمة الأمور وتقاليدها تلقف الكرة ، فأصبحت الدولة الإسلامية تعيش الهرج والمرج ، وكان معاوية بن أبي سفيان عاملاً على دمشق فالأردن فضم إليه عثمان ولاية حمص وفلسطين والجزيرة وبذلك مدّله في أسباب السلطان إلى أبعد مدى^(٣) .

كما ولى الوليد بن عقبة على الكوفة وهو الذي كان متجاهراً بالفسق والفجور وشرب الخمر ، حتى انه ذات يوم صلى بالناس صلاة الصبح وهو سكران أربع ركعات ، ثم التفت اليهم وقال أزيدكم .

(١) الغدير والسقيفة - ابراهيم خليفة - ص (١٣٨) .

(٢) أبو ذر الغفاري - الشيخ محمد آل فقيه - ص (١٠٤) .

(٣) أبو ذر الغفاري - الشيخ محمد آل فقيه - ص (١٠٨) .

كما أرجع الحكم طريد رسول الله (ص) من منفاه ووصله بمائة ألف^(١) .
وتصدّق رسول الله (ص) بموضع سوق في المدينة يعرف بمهزور على
المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم ، كما وأقطع
مروان فذك وأعطى عبد الله بن أبي السرح جميع ما أفاء الله من فتح أفريقية
بالمغرب وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال^(٢) .

وهكذا أصبح بنو أمية هم الأمرون والناهون الذين بيدهم كل شيء
يعيشون في الأرض فساداً ، ويخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع .

ثالثاً : اغتيال عثمان :

وفي الوقت الذي كان بنو أمية يرتعون في أموال المسلمين ويتقاسمونها
ويمتلكون الأراضي الشاسعة في كل مكان ، كان عامة الشعب يعيشون الفقر
والحرمان ، مما أدى إلى ظهور حالة من الإستياء في صفوف الناس حتى أخذوا
يتحدثون عن هذا التمييز في العطاء في مجالسهم .

واشتدت الجهاير في معارضتها لعثمان ، وأنكر رجال التقوى والصلاح
عليه سياسته التي عادت بالأضرار البالغة على المسلمين ، وكان يقابل المعارضين
بالضرب والشتم والإحتقار^(٣) .

(١) أهر ذر الغفاري - الشيخ محمد آل فقيه - ص (١١) .

(٢) شرح النهج - ج ١ - ص (١٩٨ - ١٩٩) .

(٣) الغدير والسقيفة - ابراهيم خليفة - ص (١٥٤) .

وكان من بين الذين عارضوا سياسته ، ونددوا بها أبو ذر الغفاري
وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم كثير، وقد قابلهم بالعنف
والضرب والتسفير .

فأما أبو ذر الغفاري فقد نفاه إلى الربذة حيث مات وحيداً غريباً هناك ،
وأما عمار بن ياسر فقد أمر عثمان بضربه فضربه الغلمان وشاركهم عثمان بضربه
حتى فتقوه ، وغشي عليه عند ذلك حملوه وألقوه كما تُلقى النفاية في الطريق^(١) .

وأما عبد الله بن مسعود فقد طرده من المسجد وأمر شرطته أن يتولوا
إخراجه وتمتد إليه أيد غلاظ شداد وتعتقله وهو يضطرب بينهم اضطراب
السمة^(٢) .

وهكذا كان مصير كل من يعارض الوضع السائد ، أو يبدي استياءه من
فساد الأمور ، إلا أن ذلك لم يزيد الأمور ، إلا سوءاً في وجه عثمان فالكل بدأ
يتذمر من هذا الوضع المضطرب للدولة الإسلامية حتى كثر المعارضون ، وقالوا
لعبد الرحمن بن عوف : هذا عملك واختيارك لأمة محمد ، قال : لم أظن هذا
به ، ودخل على عثمان فقال له : اني انما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر
وعمر وقد خالفتهما ، فقال : عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في
الله فقال له : الله عليّ أن لا أكلمك أبداً^(٣) .

(١) عمار بن ياسر- صدر الدين شرف الدين - ص (٢١١) .

(٢) عمار بن ياسر- صدر الدين شرف الدين - ص (٢٠٦) .

(٣) العقد الفريد- عبد ربه الأندلسي- ج ٤ - ص (٣٠٥) .

ولما رأى عثمان أن الأمر ينبىء عن عاصفة هوجاء عما قريب ، ركب المنبر واعتذر للناس وتعهد بأن يصلح الأمور ، ولما رجع إلى منزله جاءه مروان وكان كاتبه وخاتمه بيده ، وكان يتصرف في الأمور حيث يشاء فينصب من يريد ويعزل من يريد ، وأخذ يصد عثمان عن رأيه وما زال يكلمه والناس مجتمعون على باب عثمان ، حتى خرج لهم مروان وعثمان ينظر اليه لم يرده ، فقام مروان يتوعدهم ويهددهم ويحثهم على الرجوع إلى منازلهم ، وخرج بعضهم حتى أتى علياً فأخبره الخبر فجاء علي (ع) مغضباً حتى دخل على عثمان فقال : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الطعينة يقاد حيث يُسار به والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه ، وإيم الله اني لأراه سيوردك ثم يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعابتك ، أذهبت شرفك وغلبت على أمرك^(١) .

وخرج أمير المؤمنين من عنده وكان دأبه المحافظة على عدم إراقة دماء المسلمين وتهدئة الأوضاع ونزع فتيل الفتنة .

إلا أن الأمور زادت سوءاً يوماً عن يوم حتى وصله الخبر أن الجماهير الغاضبة تحاصر عثمان فأرسل الحسن والحسين (ع) حتى يدافعان عنه .

ومع ازدحام المعارضين وشدة نقمتهم ، تسلق بعضهم قصر عثمان من الخلف وقتله .

(١) الحقائق في تاريخ الإسلام - حسن المصطفوي - ص (٢٨٣) .

رابعاً : خلافة أمير المؤمنين علي (ع) :

لما وجد المسلمون ما وصلت اليه الأمور من فساد واستهتار ، أدركوا الخطأ الفادح الذي ارتكبه حيث ابعدوا الخلافة عن صاحبها الشرعي وهو أمير المؤمنين(ع) الذي يملك من الكفاءات ما يضمن تسيير الأمور بكل هدوء واستقرار .

فأرادوا أن يصلحوا الخطأ الذي أوقعوه فجاءوا إلى أمير المؤمنين(ع) من كل مكان حتى أصبح الناس كأنهم الجبل على داره يريدون مبايعته ، وقد وصف أمير المؤمنين (ع) ازدحام الناس عليه ليبايعوه في خطبته الشقشقية حيث قال : «فما راعني إلا والناس كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب مجتمعين حولي كربيضة الغنم حتى وُطئ الحسنان وشُق عطاياي»^(١) لكن أمير المؤمنين (ع) لم يكن راغباً في الخلافة فالدنيا بكل زبرجها لم تكن لتدخل قلب علي وقد طلقها ثلاثاً ، والخلافة في نظره لا تساوي جناح بعوضة وقد أشار الى ذلك حيث قال : (لابن عباس لما دخل عليه وهو يخصف نعله وقد سأله ماقيمة هذا النعل فقال لا قيمة لها فقال (ع) والله هي أحب الي من امرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً)^(٢) .

ولذلك رفض بيعتهم ، كما نقل الطبري في الجزء الخامس من تاريخه حيث قال لهم (لا تفعلوا فاني اكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً فقالوا :

(١) نهج البلاغة ص (٤٩) خطبة (٣) .

(٢) نهج البلاغة ص (٧٦) خطبة (٣) .

لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك ، ومازالوا به حتى قبل بيعتهم ولكنه أبى
إلا أن تكون في المسجد ويرضى به الناس^(١) .

وهكذا قبل أمير المؤمنين (ع) بيعة الناس ، وشمر عن ساعده ليصلح
الأمر ويعيد للناس حقوقهم وفيئهم من بني أمية ، ومضى يعلن الخطوط
العريضة لسياسته في أول خطبة ألقاها بعد توليه الأمور وكان مما قال ألا إن كل
قطيعة أقطعها عثمان بن عفان ، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت
الله فإن الحق لا يبطله شيء (ولو وجدته قد تزوج به النساء ومُلكت الاماء وفُرق
في البلدان لرددته ، فان العدل في سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه
أضيق)^(٢) .

وهكذا بدأت الدولة الاسلامية مرحلة جديدة من العدل والحرية واعادة
الحقوق إلى أصحابها .

خامساً : وقعة الجمل :

اتفق الرواة على أن طلحة والزبير كان من أشد الناس على عثمان بن
عفان حتى قال عثمان : ويلي على ابن الحضرمية يعني طلحة ، لقد أعطيته كذا
وكذا ذهباً واليوم يروم دمي ، ولما اشتد الحصار على عثمان كان طلحة مقنعاً
بشوب قد اشتد به عن أعين الناس ويرمي دار عثمان بالسهام وكما روى المؤرخون

(١) سيرة الأئمة الإثني عشر - هاشم معروف الحسني - ص (٣٩١) .

(٢) نهج البلاغة ص (٥٧) خطبة (١٥) .

أنه لما تعسر على المحاصرين الدخول عليه من باب الدار أخذ بهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار ، فأصعدهم سطحها ، وتسوروا منها على عثمان ونزلوا إليها وقتلوه^(١) .

وكما كان طلحة أول من رمى عثمان بالسهم وألب الناس عليه ، كان أول من بايع علياً عليه السلام في المسجد ، وكانت أصابعه شلاء ، فتطير منها علي (ع) وقال : ما أخلفها أن تنكث ثم بايعه الزبير^(٢) .

إلا أن طلحة والزبير ما كانا ليقوما بهذا الدور رغبة في اصلاح الفاسد من أمور المسلمين ، وإنما حتى ينالا نصيباً من السلطة ، ولما اصطدما بعدالة أمير المؤمنين (ع) ، حيث رفض أن يوليهم أو ينصبهم ، وفي الصحابة من هم أفضل منهم ، خصوصاً انه لم يخف عليه سيرتهم . نكثا بيعته وأخذوا يؤلبان الناس عليه ، ويتهمونه بأنه المحرض لقتل عثمان .

أما عائشة فإنها لما بلغها خبر قتل عثمان إستبشرت وقالت للناعي : قتلت أعماله ، انه أحرق كتاب الله ، وأمات سنة رسول الله^(٣) .

إلا أن هذا الإستبشار لم يدم طويلاً ، فبعد أن خرجت من مكة تريد المدينة لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يُقال له عبيد بن أبي سلمة ، وهو ابن أم كلاب فقالت له : مهيم ؟

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر - هاشم معروف الحسني - ص (٣٨١) .

(٢) الامامة والسياسة .

(٣) الامام علي (ع) من المهد الى اللحد - السيد محمد كاظم القزويني - ص (٤٣٤) .

قال : قتل عثمان ، وبقوا ثمانياً ، قالت : ثم صنعوا ماذا ؟

قال : اجتمعوا على بيعة علي فقالت : ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ، ردوني ردوني ، فانصرفت إلى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه ، فقال لها : ولم ، والله إن أول من أمال حرفه لأنني ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر .

قالت : انهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول فقال لها ابن أم كلاب :

فمنك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر وأنت أمرت بقتل الامام وقلت لنا إنه قد كفر^(١)

وهكذا اجتمعت مصالح الثلاثة على أن يقفوا بوجه أمير المؤمنين (ع) ويرفعوا قميص عثمان ، ثم (تمكنت عائشة وطلحة والزبير من إثارة الجموع على علي (ع) واستغل بنو أمية خروج المثلث القرشي النافذ على الخليفة الجديد ، فضموا أصواتهم إلى صوته ، وبذلوا الأموال في سخاء تأييداً للمعارضة ، وأقبلوا من كل حذب وصوب إلى سكة يعينون عائشة في إثارة الجماهير ويحتجون في ذلك بدم شهيدهم عثمان^(٢) وهكذا جيش الثلاثة جيشاً كبيراً بقيادة عائشة وخرجوا إلى البصرة .

(١) الكامل في التاريخ - ج ٣ - ص (١٠٠) .

(٢) ماذا في التاريخ - القبسي - ج ٩ - ص (٥١٢) .

سادساً : وقعة صفين :

لم يمض شهر واحد على انتهاء معركة الجمل ، حتى جهز الامام جيشه ثانية ليسير إلى صفين قرب الشام ، حيث رفض معاوية الانصياع لما اتفقت عليه الأمة ، ورفض بيعة الامام ، ورفع قميص عثمان ذريعة يحرض به أهل الشام على حرب الامام وناصره على ذلك شرحبيل وعمر بن العاص الذي مناه معاوية بولاية مصر ان انتصر .

وبعد الرسائل التي وجهها الامام الى معاوية ليبايع ويترك ولاية الشام ، ولم يلق الامام منها إلّا الإستخفاف من جانب معاوية لم يبق إلّا خيار السيف .

وهكذا جهز الامام جيشاً قوامه (٩٠) ألفاً وسار بهم إلى صفين والتي تعرف اليوم باسم الرقة في سوريا ، كما جهز معاوية جيشاً قوامه (٨٥) ألفاً ، والذي ذكره جماعة من المؤرخين انها كانت من ابتداء ذي الحجة سنة ٣٦ وانتهت في ١٣ صفر سنة ٣٧^(١) .

وهذا يعني ان هذه الثلاثة أشهر لم تكن كلها فترة حرب ، وانما تخللها فترة هدوء ، كالذي حصل في شهر محرم حيث هدأت الحرب لتعود في شهر صفر على أشد ما كانت عليه ، ثم لتنتهي بمهزلة التحكيم حيث رفع معاوية بتدبير من عمر بن العاص أكثر من ٥٠٠ مصحف على الرماح وهم يقولون

(١) اعيان الشيعة - ج ١ - ص (٤٦٦) .

الحكم لله ، وما كان معاوية ليرفع القرآن إلا بعد أن وجد بشائر النصر تلوح لجيش علي (ع) ، ولم يوافق الامام على طلبهم الذي لا يخفي جانب الخبث والمكيدة فيه ، إلا بعد أن وجد أكثر من (٢٠) ألف مقنعين بالحديد وفي جباههم آثار السجود قد خرجوا من جيش الامام يطالبون بإجابة القوم لحكم القرآن والذين عُرفوا بالخوارج ، وتحت الحاح شديد وخوف للفتنة اضطر الامام اجابة القوم ، وفي قلبه شذى من ذلك ، وكما رُفض رأي الامام حيث رفض طلبهم ، رُفض رأيه أيضاً في من اختاره ليناور في جلسة التحكيم إلا أن الخوارج الذين خرجوا على الامام وعلى رأسهم الأشعث بن قيس والذي كان قلبه ينطوي على بغض الامام حيث رفض أن يزوجه بإبنته زينب ، طلبوا أبا موسى الأشعري وهو الذي لا عهد له بالسياسة ولا علم بالأحداث ولا رضا له بالحرب .

وهكذا جيء بأبي موسى الأشعري من منزله بالشام ليجتمع مع عمر بن العاص ممثل جيش معاوية ، ثم ليحددا مستقبل الأمة بكاملها ولما كان أبو موسى الأشعري قريب القعر لا يحمل دراية بالأمر خدعه عمر بن العاص حيث اتفق معه على أن كل واحد يخلع صاحبه ثم يجعلون الأمة تتشاور لتختار خليفتها ، فقدمه ليخلع أمير المؤمنين (ع) ثم جاء بعده ليثبت معاوية ، وهكذا خُدع أبو موسى الأشعري ، وانتهى كل شيء ، وما أسفرت هذه الحرب إلا عن (٧٠) أو (١١٠) آلاف قتيل على اختلاف الروايتين .

سابعاً : وقعة النهروان :

وكانت بين الامام (ع) والخوارج الذين خرجوا على الامام (ع) حيث اتهموه بأنه غرر بهم في حرب طويلة ، ثم انخدع من معاوية وهم الذين انخدعوا ، وأجبروا الامام على المهادنة ، وبعد محاججة طويلة أفحمهم فيها الامام (ع) ، ثم وعظهم وذكرهم ، ورجع منهم من رجع وتاب منهم من تاب ، ثم بقي منهم أربعة آلاف ، قاتلهم الامام قتالاً شديداً لم يبق منهم إلا تسعة ، ولم يُقتل من جيش الامام إلا تسعة .

وكانت الحوراء زينب ترقب أباها أمير المؤمنين (ع) واخوتها وزوجها يخوضون الحرب تلو الحرب مرة مع الناكثين وأخرى مع القاسطين ، ثم مع الخوارج فتلقي تلك الأحداث على شخصيتها طابعاً خاصاً بجمع بين الأسف على وضع هذه الأمة المتخبط ، والذي لاشك يحملها إحساس المسؤولية والتطلع إلى التفسير ، وبين الحنكة وحسن التدبير .

ثامناً : اغتيال الامام (ع) :

لم يتسم الدهر يوماً للحوراء زينب (ع) قط ، فبعد تلك المصائب التي أحاطتها من كل جانب ، وبعد هذه الحروب الضارية التي أربكت وضع المجتمع الإسلامي بشكل كامل وتركت في نفس الحوراء زينب عليها السلام الغصة والألم وبعد خمس سنوات من خلافة أمير المؤمنين (ع) ، يعود الدهر بلبوسه الأسود يخيم على قلبها مرة أخرى حيث تفقد ظلها الوافي وجبلها

الأشم . كانت في الخامسة والثلاثين من عمرها حين رأت ريحاً عاصفاً سوداء مظلمة وجبرئيل بين السماء والأرض ينادي بصوت يسمعه كل مستيقظ : تهدمت والله أركان الهدى . وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى ، وانفصمت والله العروة الوثقى قُتل ابن عم محمد المصطفى ، قُتل الوصي المجتبى ، قُتل علي المرتضى .

فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرئيل لطمت وجهها وخدها وشقت جيها وصاحت : وأبتاه واعلياه واحمداه واسيده^(١) .

وما هي إلا ساعة حتى رأت البدرين من المهاجرين والأنصار وغيرهم يحملون الامام وهو يخور بدمه ، فيخفق قلبها وترتعد فرائصها ، وهي تقاوم أقوى إعصار من الحزن والألم ثم تهوى عليه لتقبله ، وهي تبكي وتلطم وجهها ، وتموج الكوفة بكاملها في طوفان المأساة حتى كأنه اليوم الذي مات فيه رسول الله(ص) ، وبقي الامام طريح الفراش ثلاثة أيام يتقلب على فراش الموت وعياله وأهل بيته من حوله بحالة شديدة من الحزن والألم ، ثم جيء بقاتله اليه مقيداً وكان عبد الرحمن بن ملجم ، وقدمته قطام بنت الأخضر التميمية بالزواج منها بعد أن قتل علي بن ابي طالب(ع) أباه وأخاها يوم النهروان وكانت فائقة الجمال إلا أن من سل سيف البغي قُتل به ، فلم يستطع ابن ملجم بعد أن ضرب أمير المؤمنين أن يفلت من يد العدالة حيث أمسك به أصحاب

(١) كتاب الامام علي من المهد الى اللحد - ص (٥٦٤) .

الامام وجاءوا به إليه فلما نظر الامام إليه قال له (أي عدو الله ألم أحسن اليك ، قال بلى^(١) ، ثم التفت إلى أولاده وأخذ يوصيهم بحقن الدماء فقال «يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قُتل أمير المؤمنين ألا ، لا يُقتلن إلا قاتلي انظر يا حسن إذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثلن بالرجل ، فإني سمعت رسول الله(ع) يقول : إياكم والمثلى ولو بالكلب العقور^(٢)» ثم «أخرج من بين يديه ، والناس ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع وهم يقولون : يا عدو الله ما فعلت ، أهلك أمة محمد وقتلت خير الناس^(٣)» . وجيء بأطباء الكوفة إلى أمير المؤمنين(ع) وعلى رأسهم «أثير بن عمر بن هانيء السكوني» وكان طبيباً ماهراً ، فأمر بذبح شاه ، ثم استخرج العرق وأدخله في جرح الامام وما أخرجه إلا وهو يتقاطر سماً كأنه القطن الأبيض فقال : يا علي اعهد عهدك وأوصي وصيتك ، وترتج أركان البيت العلوي وهم يرون أمير المؤمنين(ع) يجود بنفسه وهو يودعهم ، ثم عرق جبين الإمام ، فجعل يمسح العرق بيده فقالت ابنته زينب : يا أبة أراك تمسح جبينك ؟ قال : يا بنيه سمعت جدك رسول الله (ص) يقول : إن المؤمن إذا نزل به الموت ، ودنت وفاته ، عرق جبينه ، وصار كالؤلؤ الرطب ، وسكن أنينه ، فقامت زينب وألقت بنفسها على صدر أبيها وقالت : يا أبة حدثني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمعه منك ، فقال يابنية ، الحديث كما حدثتك أم أيمن ، وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد ، خاشعين ،

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٥٣٢) .

(٢) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٥٣٢) .

(٣) في رحاب أئمة أهل البيت - ج ٢ - ص (٢٥٣) .

تخافون أن يتخطفكم الناس فصبراً ، صبراً^(١) ثم أوصى ولديه وأخذ يذكر الله كثيراً ، ثم صار يغمى عليه تارة ويفيق أخرى ، حتى استقبل القبلة ، وسكن أنينه وغمض عينيه ، وارتفعت الضجة في بيت الامام .

وهكذا ترك الامام أولاده ، ليدافعوا الفتن من بعده وقد أحاطت بهم من كل مكان .

تاسعاً : اغتيال الامام الحسن (ع) :

أما الحوراء زينب (ع) فلم يبرء قلبها من مصاب أبيها ، حتى فُجعت مرة أخرى بأخيها الامام الحسن عليه السلام ، حيث سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس ، بعد أن منّاها معاوية بالزواج من ابنه يزيد وإعطائها مئة ألف درهم ، وكان هذا أوّل ذل دخل على العرب كما روى الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش عن محمد بن حبيب في آماله عن ابن عباس : انه قال : أوّل ذل دخل على العرب موت الحسن (ع) .

والامام الحسن بالرغم من انه حقن دماء المسلمين حيث صالح معاوية بعد أن رأى الغدر من أصحابه ، لكنه لم يفلت من كيد معاوية وحزبه الذين باتوا يسومون الأمة سوم العبيد .

(١) الامام علي من المهدي إلى اللحد - ص (٥٩٤) .

والحوراء زينب ترقب كل هذه الأحداث لتهيء نفسها لتكون بطلة رائدة في معركة مقبلة .

عاشراً : خلافة يزيد :

كان صلح الامام الحسن هو الخطوة الأولى في طريق ثورة الامام الحسين ذلك أن الامام الحسن ، كشف معاوية على حقيقته أمام المسلمين ، حيث نقض العهود والمواثيق التي أعطاها من نفسه وقال صراحة : ما قاتلتكم لتصلوا وتصوموا ، وإنما لإتأمر عليكم وقال : كل شرط اشترطه عليّ الحسن بن علي هو تحت قدمي ، وكان من أهم تلك الشروط أن لا يفتك بأحد من أصحاب الامام الحسن والحسين ، وأن ترجع الخلافة لهما من بعده ، إلا أنه نقض كل تلك الشروط والمواثيق ، وأوعز إلى جعدة بنت الأشعث زوجة الامام الحسن لتسمه ، ثم أخذ يغتال أصحابه واحداً بعد الآخر ، ثم طلب البيعة صراحة لابنه يزيد ، ولما وجد الامام الحسين (ع) وهو الامام المصلح وحجة الله في أرضه ، هذا النقض الصريح والاستهتار الواضح من جانب معاوية ، أخذ يعارض سياسته القائمة على الغدر والخداع والبطش ولم يخف على معاوية هذا التحرك من جانب الامام الحسين ، فأرسل اليه رسالة ، يتوعده فيها وكان مما قال : فإنك متى تنكرني انكرك ومتى تكذني اكذك فرد عليه الامام الحسين في رسالة قال فيها : ألسن القاتل حجرين عدي أخا كنده وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم^(١) ، وأخذك للناس بيعة ابنك غلام حدث

(١) هذا القسم الأول والأخير فقط من رسالة الإمام الحسين (ع) .

يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ما أراك إلا قد خسرت نفسك ووترت دينك
وغششت رعيتك ، وأضربت أمانتك ، وسمعت مقالة السفية الجاهل وأخفت
الورع التقي ، والسلام .

ولم يكن حال يزيد واستهتاره وفسقه ومجونه يخفى على أحد من الناس
حتى قال الامام الحسين (ع) لمعاوية بعد أن طلب البيعة لابنه يزيد ، وذكر
اكتمال سياسته ورجاحة عقله «تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنك تصف
محبوباً ، أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد
من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد في ما أخذ به من استقرائه الكلاب
المهارشه عند التحارش ، والحمام السبق لأتراهن والقيينات ذوات المعارف ،
'وضروب الملاهي'»^(١).

هكذا كان يزيد كما قال عنه المسعودي في مروجه الجزء الثاني ص (٩٤)
(كان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ، ومنادمة على الشراب
وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة ، واستعملت الملاهي ، وأظهر الناس شرب
الشراب ، وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضر مجلس منادمته^(٢)) وقال عنه
عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ، ورئيس وفد أهل المدينة إلى الشام بعد قتل
الحسين (ع) ، فلما عاد إلى المدينة جمع الناس في مسجد الرسول (ص) وقال :

(١) الحقائق في تاريخ الاسلام والفتن والأحداث - الدكتور حسين . م . ت . ص (٢٨٨) .

(٢) مروج الذهب - المسعودي - ج ٢ - ص (٩٤) .

أيها الناس قد جئناكم من عند رجل ، يترك الصلاة ويشرب المسكرات ،
وينكح الأمهات والأخوات ، ويعلب بالقرود والكلاب ، وإذا لم تُخلع بيعته ،
أخشى أن نَقذف بالحجارة من السماء^(١) وقال بولس سلامة الشاعر المسيحي
يحث المؤذن على خفض صوته حتى لا يُزعج يزيد :

رافع الصوت داعياً للفلاح اخفض الصوت في أذان الصباح
وترفق بصاحب العرش مشغولاً عن الله بالقيان الملاح
ألف الله أكبر لا تساوي بين كفي يزيد نهلة راح
تتلظى في الكأس شعلة خمر مثل أج اللهب في المصباح
عنست في الدنان بكرة فلم تدنس بلثم ولا بماء قراح^(٢)

وما يوضح فسق يزيد وخلاعته شعره الذي لم يترك مجال أمام أحد أن
يدافع عنه حيث قال :

دع المساجد للعباد تسكنها واجلس على دكة الخمار واسقينا
ما قال ربك ويلٌ للذي شربوا بل قال ربك ويلٌ للمصلينا
إن الذي شربوا مني شربهم طربوا إن المصلين لا دنيا ولا ديناً^(٣)

(١) مأساة الحسين بين السائل والمجيب - ص ٤٤ - وتاريخ الخلفاء ص ٢٠٩ .

(٢) عيد الغدير بولس سلامة - ص (٢٠٤) .

(٣) مأساة الحسين (ع) بين السائل والمجيب - الشيخ عبد الوهاب الكاشي - ص (٤٦) .

ولما كان يزيد على هذه الحالة من الخلاعة والمجون والإستهتار ، رفض
الامام الحسين بشدة أن يجيب معاوية في بيعته ، وكان معاوية يعرف الخطر
الكبير الذي يشكله الامام الحسين على ابنه يزيد ، فأوصى يزيد قبل موته بأن
يأخذ الحيلة والحذر حيث قال له في وصيته :
«إني قد كفيتك الرحلة والترحال ، ووطأت لك الأشياء ، وذلت لك
الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب ، واني لست أخاف عليك من قریش إلا
ثلاثة : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير» .

وفي سنة ٦٠ للهجرة تدهورت صحة معاوية ، وفتكت به الأمراض من
كل جانب وأصبح طريح الفراش ، وفي الخامس عشر من شهر رجب اشتد به
المرض وسقط ميتاً «ثم صلى عليه الضحاك بن قيس ثم طمره بباب الصغير
خلف الجامع الأموي ، ثم أرسل إلى ابنه يزيد يعزيه بأبيه ويطلب منه الاسراع
في القدوم لأخذ البيعة من الناس مجدداً»^(١) .

وما إن وصل الكتاب إلى يزيد حتى طاش له ، ورجع مسرعاً إلى دمشق
حيث وصلها بعد ثلاثة أيام ، وكتب إلى العمال في البلدان يخبرهم بموت أبيه
وأقرهم على أعمالهم ، ثم «كتب يزيد إلى ابن عمه الوليد بن عتبة ، وإلى
المدينة ، مع مولى لمعاوية يُقال له : ابن أبي ذريق يأمره بأخذ البيعة على أهلها

(١) البداية والنهاية - ابن كثير ج ٨ - ص (١٤٣) .

وخاصة على الحسين (ع) ، ولا يرخص له في التأخير عن ذلك ويقول : إن أب عليك فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه»^(١) .

فلما وصل الكتاب إلى الوليد أرسل على الامام الحسين قبل أن يأخذ البيعة من الناس ، فأحس الامام الحسين بالشر ، فجمع اليه أصحابه وأهل بيته ، وأخبرهم بطلب مروان له ، وأمرهم بالوقوف عند الباب والدخول له ، متى سمعوا صوته قد علا ، فلما دخل على الوليد ، أخبره الوليد بموت معاوية وطلب منه البيعة ليزيد فقال : «أما البيعة فإن مثلي لا يبايع سراً ، ولا يُجْزء بها مني فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة ، ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً فقال له الوليد وكان يحب العافية ، انصرف ، فقال له مروان ، لئن فارقك الساعة ولم يبايع ، لا قدرت منه على مثلها أبداً ، حتى تكثر القتل بينكم وبينه ، احبسه فإن بايع وإلا ضربت عنقه فوثب عند ذلك الامام الحسين (ع) وقال : أنت تقتلني أم هو ، كذبت والله ولؤمت»^(٢) . «ثم أقبل على الوليد فقال : أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل ، بنافتح الله وبناختم ، ويزيد فاسق ، شارب الخمر ، قاتل النفس المحترمة معلناً بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون ، أينما أحق بالخلافة والبيعة ، ثم خرج يتهادى بين مواليه وهو يتمثل بقول يزيد بن المفرع :

(١) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج ١ - ص (٥٨٧) .

(٢) الكامل في التاريخ - ج ٣ - ص (٣٧٨) .

لا ذعرت السوام في غسق الصبح مغيراً ولا دعيت يزيداً
يوم أعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدني أن أحيداً^(١)

ثم توجه عليه السلام إلى قبر جده ، يطلب الخيره من الله في أمره ،
فأخذ يصلي عند القبر الشريف ولما فرغ من صلاته جعل يقول : «اللهم إني
أحب المعروف ، وأكر المنكر ، وأنا أسألك يا ذا الجلال والاکرام ، بحق القبر
ومن فيه ، إلا اخترت لي ماهو لك رضا ولرسولك رضا ، ثم جعل يبكي عند
القبر حتى اذا كان قريباً من الصبح ، وضع رأسه على القبر ، فأغفي ، فإذا هو
برسول الله (ص) قد أقبل في كتيبه من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه
حتى ضمّ الحسين إلى صدره وقبّل ما بين عينيه وقال : «حبيبي يا حسين ، كأني
أراك عن قريب مرملاً بدمائك ، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء ، بين عصابة من
أمّتي ، وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى ، وظمآن لا تروى ، وهم مع ذلك
يرجون شفاعتي ، لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة ، حبيبي يا حسين ، إن
أباك وأمك وأخاك ، قدموا علي وهم مشتاقون إليك وإن لك في الجنان
لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة»^(٢) .

ثم أفاق بعد ذلك وتوجه إلى داره يستعد للرحيل ، أما الحوراء
زينب (ع) فقد كانت تنتظر أخاها الحسين (ع) بفارغ الصبر ، فلما رأت منه

(١) أعيان الشيعة - محسن الأمين - ج ١ - ص (٥٨٨) .

(٢) عوالم الامام الحسين - الشيخ عبد الله البحراني - ج ١٧ - ص (١٧٧) .

العزم على الرحيل ، استأذنت زوجها لترافقه في رحلة الموت ، وأذن لها عبد الله بن جعفر وأرسل معها اثنين من أولاده ليموتا دون الحسين (ع) .

ومن هذه اللحظة دخلت الحوراء زينب (ع) مرحلة جديدة في حياتها فقد أصبحت منذ الآن شريكة للحسين في كل خطوه ، فكانت تهيم النساء للسير قدماً مع الحسين (ع) «واجتمع النساء على السيدة زينب يستمعن إلى قولها ويأتمرن بأمرها»^(١) .

أما الحسين (ع) فقد «توجه في غلس الليل البهيم إلى قبر أمه وديعة النبي (ص) وبضعته ، ووقف أمام قبرها الشريف ملياً وهو يلقي عليه نظرات الوداع الأخير ، وقد تمثلت أمامه عواطفها الفياضة ، وشدة حنوها عليه ، وقد ودّ أن تنشق الأرض لتواريه معها»^(٢) .

ثم ودع قبرها وتوجه إلى قبر أخيه الامام الحسن ، فتقاطرت دموعه على ثرى القبر ، وقد أحاطت به الهموم والأحزان ، ثم رجع إلى داره وأخذ يعد قافلة السير إلى المدينة المنورة ، فنصحه عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية بالترث ، إلا أنه كان يعلم من الأمر ما لم يكونوا يعلموا فأصر على الخروج حتى يلبي داعي الله ، وكان مما قاله له محمد بن الحنفية «يا أخي أنت أحب الخلق

(١) المفيد في ذكرى السبط الشهيد- السيد عبد الحسين العاملي- ص (١٢) .

(٢) حياة الامام الحسين- باقر شريف القرشي- ص (٢٦١) .

إلي وأعزهم علي ، ولست واللّه أدخر النصيحة لأحد من الخلق ، وليس أحد أحق بها منك ، ثم قال تخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار فذاك ، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأبيك وهم أرف الناس وأرقهم قلوباً ، وأوسع الناس بلاداً ، فإن اطمأنت بك الدار ، وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال وجزت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين .

فقال له الامام الحسين (ع) «جزاك الله خيراً : فقد نصحت وأشرت بالصواب ، وأنا عازم على الخروج إلى مكة ، وقد تهيات لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي ، أما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة ، أفتكون لي عيناً لا تخفي عني شيئاً من أمورهم»^(١) . ثم كتب وصيته لأخيه محمد ، وكما جاء في الوصية «اني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) ، أريد أن آمر بالمعروف . وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي ، فمن قبلني بقبول الحق ، فالله أولى بالحق ومن ردّ علي هذا ، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين ، وهذه وصيتي يا أخي ، وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب»^(٢) .

(١) بحار الأنوار - ج ٤٤ - ص (٣٢٩) .

(٢) عوالم الامام الحسين (ع) - الشيخ عبد الله البحراني . ج ١٧ - ص (١٧٩) .

وفي الوقت الذي كان الامام الحسين (ع) يوصي أخاه محمداً ، كانت القافلة تتهياً لتنطلق عما قريب من داره ، وهكذا اجتمع بنو هاشم على قافلة الحسين (ع) وهي تستعد للمغادرة .

«والتفت الرجال على أبي عبد الله الحسين (ع) يشحذون سيوفهم ، ويبايعونه وألقت النساء على زينب ، يسمعن إليها ويأتمرن بأمرها»^(١) .

ثم «خرج فتى ، قوي الساعدين ، طويل القامة ، يضيء وجهه نوراً وهو يقول : أيها الناس غضوا أبصاركم : حتى يخرجن بنات رسول الله وكان الفتى المنادي ، هو أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين (ع) ، ثم خرجت في أثره امرأة مجللة في خدرها وهي زينب بنت علي ، وخرجت على يسارها أختها زينب الصغرى أم كلثوم ، وهنَّ يجرن أذيالهن ، ويسرعان الخطا حياءً من أنظار الناس ، وحولهن النساء اللواتي دائماً في خدمتهن قد أحطن بهن ، فكسرن الأحداق عنهن ، ورددن الأبصار المصوبة اليهن ، ثم دنا العباس من راحلة أخته زينب . فأخذ بيدها ، فركبت على ظهر راحلتها ، ثم التفت العباس إلى أخته أم كلثوم ، فأخذ بيدها فاعتلت ظهر راحلتها»^(٢) .

ثم ركب من كان من بني هاشم من النساء والرجال ، وتركت النوق من مباركها وتوجه الركب يتهادى في مشيه أمام حشود المشيعين الذين خنقتهم

(١) زينب عقيلة بني هاشم - عبد العزيز سيد الأهل - ص (٣٤) .
(٢) المفيد في ذكرى السبط الشهيد - عبد الحسين العاملي - ص (١٣) .

العبرات وهم يرون آل الرسول . يخرجون من مدينة جدهم في خوف وقلق .
 ويمر الوقت بطيئاً على القافلة وهي تودع ما تبقى من بيوت متناثرة في أطراف
 البداء ، ويستوحش قلب العقيلة زينب (ع) وهي ترى هامات النخيل قد
 أوشكت على الاختفاء عن الأنظار، ثم يوغل الركب في عمق الظلام فلا تسمع
 من خلفه إلا صفير الريح ، ويلف المدينة هدوء رهيب ، فقد خلت منازل
 الهاشميين من أهلها ، وبهت ألوان المسجد النبوي بعد أن ذهب الذاكرون لله
 في جوف الليل وأطراف النهار .

وكان اليوم الذي خرج فيه الامام عليه السلام هو يوم السبت الثامن
 والعشرين من رجب ، وبعد خمسة أيام متواصلة من السير الحثيث والركب يجد
 السير نحو مكة ، وفي صبح الجمعة تلوح منائر الحرم المكي لآل الرسول وهم
 لا يزالون في ذنب الصحراء فتتوق نفوسهم المنهكة شوقاً إلى بيت الله الحرام
 لتنثر ما علق عليها من وعثاء السفر وغبار الطريق .

ويدخل الركب الكريم إلى أرض مكة ، فيطير الخبر إلى أهلها ، فيهرع
 الناس من كل مكان لإستقبال ابن بنت رسول الله (ص) وأهل بيته ، وكان
 على رأس المستقبلين عبد الله بن عباس وغيره من كبراء مكة واقطابها ، ويردد
 الحسين (ع) هذه الآية ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء
 السبيل﴾ ثم قصد دار العباس بن عبد المطلب فنزل فيها ، وجاء اهل مكة إلى
 حيث الحسين (ع) ليلقون التحية عليه ويسألوه ما بدا لهم .

أما يزيد فحين علم بخروج الامام الحسين (ع) إلى مكة «أرسل رجالاً مسلحين من الشام تحت الستار حتى يغتالوا الحسين في مكة ولو كان معلقاً بأستار الكعبة ، وأرسل إلى عمر بن سعيد بن العاص أن يضيق على الحسين في مكة وكان يزيد قد ولّاه أمر الحجيج»^(١) .

ولما طار خبر وصول الامام إلى مكة في سائر البلدان ، وأنه غاضب على الحكم الجديد أرسل له أهل الكوفة الرسائل يتلو بعضها بعضاً يحثوه بالقدم اليهم حتى يكون قائدهم ، ويخلصهم من الطاغية يزيد .

«وتكاثرت عليه الرسائل حتى ورد عليه في يوم واحد ستمائة رسالة ، واجتمع عنده من نوب متفرقة اثنا عشر ألف رسالة، وفي كل ذلك يشددون الطلب وهو لا يجيبهم ، وآخر كتاب ورد عليه كان من «شيث بن ربيعي» و «حجار بن ابجر» و «يزيد بن الحارث» و «عزرة بن قيس» و «عمر بن الحجاج» . و «محمد بن عبد بن عطار» وجاء فيها «إن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك ، فالعجل العجل يا ابن رسول الله فقد اخضر الجنب ، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض ، وأورقت الأشجار ، فاقدم إذا شئت فانما تقدم على جند لك مجندة..»^(٢)

(١) المفيد في ذكرى السبط الشهيد - عبد الحسين العاملي - ص (٢١) .

(٢) عاشوراء - السيد هادي المدرسي - ص (١١٨)

ولما اجتمع عند الامام من الرسائل ، مالا ينض البعير ، أرسل اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل ، وكتب معه رسالة جوابية اليهم يخبرهم فيها أنه قادم على الأثر ، اذا اجتمع أمرهم عند ابن عمه مسلم ، وسار مسلم إلى الكوفة ، وممر بمدينة الرسول (ص) وصلى بالمسجد ، ثم استأجر دليلين ليدلاه بالطريق إلى الكوفة ، إلا أن الدليلين ماتا عطشاً في الطريق بعد أن أشارا اليه بناصية الطريق ، فتركهما وهو في حالة من التعب والإعياء حتى شارف على ديار الكوفة ، ثم دخلها «ونزل دار المختار واقبلت الناس تختلف اليه فكلما اجتمع اليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين (ع) وهم يكون وبايعه ثمانية عشر ألفاً ، فكتب إلى الحسين (ع) : أما بعد فان الرائد لا يكذب اهله ، وان جميع اهل الكوفة معك ، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً فعجل الاقبال حين تقرأ كتابي هذا والسلام»^(١).

ولما وصل الكتاب إلى الحسين (ع) استعد بأهل بيته للرحيل ، وكان الامام قد جلس في مكة حوالي أربعة أشهر ، ولما كان اليوم السابع من ذي الحجة كان الامام قد جهز القافلة حتى يسير بها نحو العراق ، وما إن شاع خبر عزم الامام الحسين (ع) على الخروج عن مكة حتى جاءه الناس يحثونه على البقاء إلا أنه كان يلبي داعي الله ، ويعلم من الأمر ما لم يكونوا يعلمون ، فقام خطيباً في أصحابه وقال : «الحمد لله وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ولا قوة إلا بالله ، خُط الموت على ولد آدم ، نخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٥٨٩)

إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقيه كاني بأوصالي
هذه تقطعها عسلان الفلوات ، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجره سغباً لا محيص
عن يوم خُط بالقلم ، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ، فيوفينا
أجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حظيرة
القدس ، تقر بهم عينه ، وينجز بهم وعده ، ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته ،
وموطناً على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا ، فإني راحل مصباحاً إن شاء الله
تعالى»^(١) .

ولما وجد عبد الله بن عباس هذا الإصرار من جانب الإمام الحسين على
الخروج جاءه مرة أخرى وقال له : يا ابن عم إذا كنت خارجاً إلى القتال فمأبالك
تأخذ هذه النسوة معك ، فقال الامام الحسين (ع) «شاء الله أن يراهن سبايا»
وما إن سمعت الحوراء زينب عليها السلام مشورة ابن عباس على الحسين بترك
النساء حتى اشترأت واقفة ، وتجللت من وراء الستار تخاطب ابن عباس قائلة :
«يا ابن عباس تشير على سيدنا بأن يخلفنا هاهنا ، ويمضي وحده لا والله بل نحيا
معه أو نموت معه ، وهل أبقيين الزمان لنا غيره لا نفارقه ابداً ، حتى يقضي الله
ما هو كائن» .

هكذا أثبتت الحوراء زينب (ع) انها الجلمود الأشم أمام الموت الذي
يخوفهم به يزيد بن معاوية ، وهكذا وبهذه الشجاعة الباسلة والبحث عن الموت

(١) المفيد في ذكرى السبط الشهيد - عبد الحسين العاملي - ص (٤٦) .

استطاعت أن تكشف زيف يزيد في مجلسه وتفضحه على رؤوس الأشهاد ، وهكذا تثبت انها القادرة على قيادة الركب واكمال المسيرة وهكذا أثبتت انها لم تخرج مع الحسين (ع) بدافع عاطفة الأخوة ، وانما بدافع الدفاع عن العقيدة والدين ولهذا قالت «حتى يقضي الله ما هو كائن» .

ولما وجد الامام الحسين (ع) هذا الحماس المتدفق من الحوراء زينب (ع) وبني هاشم للخروج معه حيث يريد ، أعدّ نياق المسير وذهب يطوف بالبيت الحرام طوافه الأخير ، واحتشد الناس حوله وسحابة الحزن على رؤوسهم ودموع الفراق واضحة في عيونهم ، وسكنت الأصوات من كل ناحية ، وارتدت الأنفاس حين رأت الإبل تقوم من مباركها حاملة أصحاب الحسين (ع) وخلفهم عياله وأهل بيته .

كان اليوم الثامن من ذي الحجة حين تحركت النياق تتهادى في مشيها رويداً رويداً لتترك وراءها كل من أشار على الامام الحسين بالبقاء وعدم الخروج .

إشكال ورد :

وقد اعتبر بعض المؤرخين ، خروج الامام الحسين (ع) وعدم استماعه لمشورة القوم بالبقاء نقطة عليه لاله ، كما قال الطبري في كتاب استشهاد الحسين (ع) صفحة (٢١) : «إصرار الحسين على الخروج رغم تحذير أقربائه وأصحابه

وناصحيه فلم يأخذ برأي أي منهم ، كانت نقطة عليه لاله ، وكأنه نسي قوله
جده (ص) «ماخاب من استخار وما ضل من استشار» .

والجواب على هذا التخييط الواضح :

أولاً : أن الامام الحسين (ع) استخار عند قبر جده في أمره عندما صلى
عند القبر وقال «اللهم اني أحب المعروف وانكر المنكر ، وأقسم عليك بصاحب
القبر إلا ما اخترت لي ما هو لك رضا ولرسولك رضا^(١)» ، كما مر ، ثم اختار له
الله الشهادة حيث رأى الرسول (ص) في غفوته على القبر وقال : ان لك منزلاً
لا تبلغه إلا بالشهادة .

ثانياً : ان الامام الحسين (ع) كان يعلم ما لا يعلمه الآخرون ، فهو
الامام وحجة الله في الأرض ، ويعلم أنه يستشهد في أرض كربلاء لابل يعلم
اليوم والساعة التي يستشهد فيها ، كما روى المجلسي في البحار الجزء (٤٤)
صفحة (٣٣١) : «لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة رضي الله عنها
فقلت : يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك يقول يقتل
ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء ، فقال لها : يا امه وأنا
والله أعلم ذلك ، واني مقتول لاحالة ، وليس لي مع هذا بد واني والله لأعرف
اليوم الذي أقتل فيه ، وأعرف من يقتلني ، وأعرف البقعة التي أدفن فيها ،

(١) عوالم الإمام الحسين(ع) الشيخ عبد الله البحراني جزء (١٧) ص(١٧٧)

واني أعرف من يقتل اهل بيتي وقرايتي وشيعتي ، وان أردتي يأمامه ، أريك
حفرتي ومضجعي»^(١) .

إذا الامام كان يعلم بما كتب الله عليه ، ولم يكن عليه إلا أن يطيع إرادة
الله وأمره وإلى هذا يشير عبد الرزاق المكرم في مقتل الحسين (ع) (ص ٥٧) حيث
قال عن الأئمة بشكل عام «لم يكن اقدامهم على القتل وتناول السموم جهلاً
منهم بما صنعه سلطان الجور وقدمه اليهم ، بل هم على يقين من ذلك فلم
يفتهم العلم بالقاتل ، وما يُقتلون به واليوم والساعة طاعة منهم لأمر بارتهم
تعالى وانقياداً للحكم الإلهي الخاص بهم وليسوا في هذا الحال إلا كحالمهم في
امتنال جميع أوامر المولى سبحانه الموجهة اليهم من واجبات ومستحبات» .

كما ذكر انطوان بارا في كتابه «الحسين في الفكر المسيحي» تعليقاً على
عبارة الحسين (ع) لأخته زينب (ع) «كل الذي قضى فهو كائن» قال : بهذه
العبارة رد كاف على أهل المظنة الذين نعتوا شورته بـ «الغضبة العسكرية» التي
كان ينقصها التخطيط العسكري السليم كي تبلغ النصر في ميزان النصر ،
وكان السر الإلهي أعمى على قلوب هؤلاء فحجب عن بصائرهم فهم مغزى
الثورة على حقيقتها وبأن قوتها تكمن في ضعفها العسكري وبأن نصرها منبتق
من انكسارها ، فباليت أولئك المتجرئين على رد حقائق ثورة سيد شباب اهل
الجنة إلى غير منابعها ومصبها ، ياليتهم يرفعون ويتوبون عن غيهم وكفرهم قبل

(١) البحار - ج ٤٤ - ص (٣٣١)

أن تنزل بهم الإلهية غضبها نتيجة ما أولوا حكمته التي لا يرقى إليها عقل بشري»^(١) .

ثالثاً : لو لم يخرج الامام الحسين عليه السلام ، هل كان يزيد يتركه وشأنه والجواب على ذلك أوضح من الشمس في رابعة النهار ، فعبد الله بن الزبير لم يخرج إلا أنهم قتلوه في وسط الكعبة ، والامام الحسن (ع) صالح معاوية ، ومع ذلك أمر زوجته بدس السم اليه ، والذين بقوا في المدينة ولم يخرجوا مع الحسين ، سلط عليهم يزيد ، مسلم بن عقبة فهدم الدور ، وهتك الأعراض ، واستباح المدينة ثلاثة أيام .

وهكذا يتضح أن خروج الحسين (ع) كان عين الصواب حيث وقف في وجه يزيد وكشف سرائر الأمويين ، وكسب الجولة في الأخير كما قال الألماني ماريين «بعد وقعة كربلاء انكشفت سرائر الأمويين وظهرت قبائح أفعالهم ، وانتشر الخلاف على يزيد وبني أمية ، وما كان يجرؤ انسان قبل كربلاء أن يجهر بتقديس علي والحسين (ع) ، وبعدها لم يكن للناس من حديث إلا في فضل العلويين ومحنهم حتى في مجلس يزيد ، كان يُذكر الحسين وابوه بالتقدير والتعظيم»^(٢) .

(١) الحسين في الفكر المسيحي - انطون بارا - ص (١٠٢) .

(٢) مع بطلة كربلاء - محمد جواد مغنية - ص (٥٥)

وبعد هذا الرد على إشكال الطبري ، نعود إلى قافلة الحسين (ع) لنراها تشق عباب الصحراء يلفها صمت رهيب ، فلا تسمع إلا أخفاف الإبل ، ثم تنظر نهاية الركب لتجد الحوراء زينب عليها السلام تتقدم النساء والأطفال وهي في حالة من التسييح والتهجد .

«وتترنج الدموع في مقلتي «زينب» وهي تلقي نظرة ملؤها الرحمة والحب والحزن على الركب الذي يغز السير ، هؤلاء هم كل آلهة أخوها وبنوها وبنو أخيه وبنوعمها . . هؤلاء هم آل الرسول ، وزهرة بني هاشم وزينة قريش ، يهجرون ديارهم إلى مصير مجهول لكنه محتوم»^(١) .

وهكذا تسرح الحوراء زينب (ع) في بحر من الأفكار والهواجس وهي تحرق في آلهة وعشيرتها ، ولم تمض ساعة حتى ضاقت خطوات الإبل وتكدست النوق خلف بعضها ، وصوت ضئيل ينبعث من مقدمة القافلة فتتساءل الحوراء زينب (ع) عن سبب هذا الوقوف المفاجيء وفحوى هذا الصوت المخنوق ، ولم تنتظر طويلاً حتى عرفت كل شيء ، فهذان أعرابيان من بني أسد قدما من الكوفة يريدان بيت الله الحرام ، واستوقفهم الحسين (ع) ليسألهم عن الكوفة واهلها ، فقال الأعرابيان : إن عندنا خبراً إن شئت حدثناك به علانية وإن شئت سراً .

فقال الحسين (ع) مادون هؤلاء سر .

(١) السيدة زينب - بنت الشاطيء - ص(١٠٣)

فقالا : يا ابن رسول الله ، ماخرجنا من الكوفة حتى وجدنا جثتي مسلم وهاني تجران في الأسواق ، ويسترجع سيد الشهداء وتغرورق عيناه بالدموع ، ثم يسألها عن سبب ذلك ، فينطلق الأعرابيان في حديثهما وهما يصفان الخذلان الذي تعرض له مسلم من قبل الذين بايعوه ، وكيف كان الرجل يأتي إلى ابنه ويقول له الناس يكفوك والأم تأتي إلى ولدها وتقول ماذا تصنع اذا جاءك جيش الشام وهكذا تفرق الناس عن مسلم حتى بقي وحيداً ، لايدري اين يذهب إلى أن ساقته رجلاه إلى باب كندة ، وقد كضه الظماً فسقته امرأة تسمى طوعة وآوته ثم علم به ابن زياد وجاءته جيوش القوم وقتلهم حتى أمسكوا به وجاءوا به إلى ابن زياد فأمر بضرب عنقه ورميه من اعلى القصر ، ثم صاروا يحرونه في الأسواق مع هاني بن عروة الذي استضافه وآواه ، وأمسك الأعرابيان عن الكلام لما وجدا الأصوات قد ارتفعت بالبكاء والنحيب .

ثم صوب الأعرابيان أحداقهما إلى الحسين (ع) وقالا «نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا ، فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولاشيعة بل نتخوف أن يكونوا عليك ، فنظر إلى بني عقيل فقال ماترون فقد قتل مسلم ؟

فقالوا : والله لانرجع حتى نصيب ثأرنا أو ندوق مذاق ، فأقبل الحسين (ع) وقال : لآخر في العيش بعد هؤلاء»^(١) .

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص(٥٩٥)

ثم امرهم ان يكثرؤا من الماء فلما كان وقت السحر انطلقوا مثقلين بأعباء الماضي ورزئـه الحاضر وهموم المستقبل يجدوا السير نحو مصير محتوم واستمر الـكب موعلاً في الصـحراء حتى إذا وصلوا الى منطقة الخـزيمية حطوا رحالهم ليهـدؤا من وعثاء السفر سمعت الحوراء زينب (ع) هاتفاً يقول

الا يـاعين فاحتـفلي بـجهدي ومن يـيكي على الشـهداء بعـدي
على قوم تسوقهم المنايا بمقدار الى انـجاز وعـدي^(١)

فأخبرت اخاها الحسين (ع) فقال لها يا اختاه كل الذي قضى فهو كائن .
واقاموا بها يوماً وليلة ثم شدوا رحال المنية وانطلقوا يشقون عباب
الصـحراء حتى وصلوا الى ارض كربلاء .

(١) الحسين في الفكر المسيحي انطوان بارا ص (١٠٢)

- الفصل الخامس -

- زينب في كربلاء -

زينب في كربلاء

ما ان نزل الحسين (ع) واصحابه وأهل بيته في أرض كربلاء حتى جاءته الأعداء من كل مكان يتلو بعضها بعضاً ، وكان في بادئ الأمر الحر بن يزيد الرياحي في ألف فارس حيث سايره وضيق عليه في الطريق إلى أن حط رحله . ثم تكاملت عليه حلقات الأعداء فجاءه عمر بن سعد في أربعة آلاف ، فانضم بهم إلى جيش الحر الرياحي «ثم جاءه شمر في أربعة آلاف ثم أتبعه ابن زياد بيزيد بن ركاب الكلبي في ألفين والحصين بن تميم السكوني في أربعة آلاف وفلان المازني في ثلاثة آلاف ، ونصر بن فلان في ألفين فذلك عشرون ألفاً تكملت عنده إلى ست ليالي خلون من المحرم ، وبعث كعب بن طلحة في ثلاثة آلاف وشبث بن ربعي الرياحي في ألف ، وحجار بن أبجر في ألف فذلك خمسة وعشرون ألفاً ، ومازال يرسل اليه بالعساكر ، حتى تكامل عنده ثلاثون ألفاً ما بين فارس وراجل»^(١)

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٥٩٨) .

وقد جعل ابن زياد عمر بن سعد هو القائد الأعلى لهذا الجيش الكبير بعد أن وعده بملك الري .

ولما نظر الحسين (ع) إلى جيش الأعداء ، كأنه السيل ، التفت إلى أصحابه وحمد الله وأثنى عليه ثم قال «أما بعد فياني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهلي بيتي فجزاكم الله عني خيراً ، ألا واني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم حرج في ولا ذمام هذا الليل قد غشيكم ، فاتخذوه جملاً فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه ، وابنا عبد الله بن جعفر : لم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ؟ لا ارانا الله ذلك أبداً وقام اليه مسلم بن عوسجة فقال : أنحن نتخلى عنك ، وبما نعتذر إلى الله في أداء حقك لا والله حتى أطعن في صدورهم برعي ، وأضربهم بسيفي ما ثبتت قائمة في يدي ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة ، وقام زهير بن القين فقال : والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا الف مرة وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك»^(١) .

والحوراء زينب سلام الله عليها تشهد هذا الموقف وقلوبها يخفق ، وقد سألت الحسين (ع) من قبل عن أصحابه فقالت : استخبرت أصحابك نياتهم ، فقال : نعم بلوتهم ، ولما وجدت هذه الروح والتصميم على القتال مع

(١) العوالم الامام الحسين (ع) - ج ١٧ - ص (٢٤٤) .

الحسين (ع) اطمأنت قليلاً ، وتنهدت لتنفس عن نفسها آلام الطريق وأحزان الغد .

ومرت الساعات بطيئة على الحسين (ع) واهل بيته وهم يحدقون في شبح الموت الذي لامفر منه ، وقد حال عمر بن سعد وعسكره بين الفرات وبين الحسين وأصحابه ، وما ان جاء يوم السابع من المحرم حتى جفت الأواني والقرب عند سيد الشهداء وأصحابه ، وكان هجير الصحراء قاسياً ، وحر الرمضاء يلهب النساء والأطفال ، فيتحلبون العرق ، وقد أنهكهم الضعف وأعياهم السهر .

والحوراء زينب (ع) تجمع النساء والأطفال ، وتسكن من روعهم ، ثم تميل إلى أخيها الحسين (ع) لتحيطه بعنايتها الفائقة وعيونها الغائرة والحسين (ع) ينظر إلى أخته زينب . ويسرح بخياله في المستقبل المجهول وكيف تصير اليه بعد ثلاث أيام .

ومازال عمر بن سعد يرسل إلى الحسين (ع) كي ينزل على حكم الأمير أو يذوق الموت والحسين (ع) يقول «والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد ، وما أن جاءت عشية العاشر من المحرم حتى استعرت قلوب النساء والأطفال من الظمأ ، والحوراء زينب (ع) تتفقد خيام النساء والأطفال وتخفف عنهم آلامهم ، إلى أن انحدرت إلى خيمة الامام الحسين (ع) فرأته قد

هَوّمت عيناه بالنوم من شدة التعب والإعياء ، فجلست بجانبه تتزود منه وتنثر الغبار عن ثيابه ، وماهي إلّا ساعة ، حتى سمعت وقع الخيل ، وقد أوشكت أن تغير على الخيام ، فالتفتت إلى أخيها الحسين (ع) وصاحت : أبا عبد الله أنائم أنت وقد دنا منا العدو ، فلما سمعها الحسين (ع) ، ورفع رأسه الشريف وقال : «أني رأيت رسول الله وأبي علياً وامي فاطمة واخي الحسن وهم يقولون انك رائح إلينا عن قريب»^(١)

ثم طلب أخاه العباس وقال : اركب بنفسك حتى تلقى الأعداء تسألمهم أن يمهّلونا سواد هذه الليلة ، فركب أبو الفضل العباس (ع) في عشرين فارساً . ووصل إلى الأعداء وسألمهم عن قدومهم فقالوا : جئنا نعرض عليكم أن تنزلوا على حكم الأمير أو نقاتلكم ، فسألمهم أبو الفضل العباس أن يمهّلهم سواد هذه الليلة ، فوقف عمر بن سعد يفكر في الأمر فقال له عمر بن الحجاج الزبيدي «سبحان الله ، والله لو أنهم من الترك أو الديلم ، وسألونا مثل ذلك لإجبتناهم ، فكيف وهم آل محمد فاستجاب عمر بن سعد وأمهّلهم .

ورجع العباس (ع) ومن معه ليخبروا الحسين (ع) بما صار إليه الأمر ، وتقر تلك الليلة ثقيلة كجبال الدنيا على قلب الخوراء زينب ، وتجول بعيونها من واحد إلى آخر من آله وأهل بيتها وأخوتها وبناتها ، ثم تزحف إلى ابن أخيها زين العابدين لتخفف عنه آلام المرض الذي نزل به في كربلاء ، فحبسه عن

(١) مقتل الخوارزمي ص (٢٤٩) .

القيام ، وكان لهذا المرض السر الإلهي حيث حفظ به الامام زين العابدين ، ولم يقاتل ولم يقتل ، وبذلك بقي نسل الأئمة الطاهرين عليهم السلام بسببه ، وقد نقل فيما بعد كيف كانت الحوراء زينب (ع) في ليلة العاشر تمرضه وتخفف عنه .

كما روى اليعقوبي عن الامام علي بن الحسين (ع) أنه قال (اني لجالس في العشية التي قتل أبي الحسين في صبيحتها ، وعمتي زينب تمرضني إذ سمعت أبي يقول :

يادهر أف لك من خليل كم لك في الاشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل والدهر لا يقبل بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك السيل

فأما عمتي زينب فإنها لما سمعت ما سمعت وثبتت ثوبها وهي تقول واثكلاه ليت الموت أعد مني الحياة وخرّت مغشياً عليها فتقدم وصب عليها الماء وقال لها يا أختاه تعزي بعزاء الله ثم قال : (اني أقسم عليك فابري قسمي ، لا تشقي علي جيباً ولا تخمشي علي وجهاً ولا تدعي علي بالويل والثبور) ثم جاء بها حتى أجلسها عندي وخرج إلى أصحابه وباتوا تلك الليلة ولهم دوي ، كدوي النحل ما بين رакع وساجد وقارئ للقرآن ومتهجد .

(١) تاريخ اليعقوبي جزء (٢) ص (٢٤٣) . كما نقل هذا في الكامل جزء (٤) ص (٢٤) ومقاتل الطالبين ص (٤٥) وتاريخ الطبري جزء (٤) ص (٢٤٠) .

وباتت الحوراء زينب عليها السلام والهواجس والأفكار تحاصرها من كل جانب ، وقامت تطوف بأعزتها وآلها ثم تعود إلى أخيها الحسين (ع) . وفي صباح الغد ، عبأ سيد الشهداء أصحابه بعد صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً أو يزيدون قليلاً على اختلاف الروايات وصرف أصحابه للقتال وجعل الخيام وراءهم ، وقد كان حفر خندقاً حول الخيام وضع فيه النار حتى لا يأتيه الأعداء من الخلف ، ثم جعل حبيب بن مظاهر الأسدي في الميسرة والعباس من الميمنة وهو في القلب .

قال المفيد ثم دعا الحسين (ع) براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته وكلهم أو جُلهم يسمعون فقال : أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا متى أعظكم بما يحق لكم علي وحتى أعذر اليكم ، فإن أعطيتُموني النصف كنتم بذلك أسعد ، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم (فاجعوا أمركم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ثم حمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلى على النبي (ص) وعلى ملائكته وأنبيائه . فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ في منطقه منه ثم قال : أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، فانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ، ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق برسول الله وما جاء به من عند ربه ، أوليس حمزة سيد الشهداء عمي ، أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي ، أولم يبلغكم ما قال رسول الله (ص) لي ولأخي هذان سيدا

شباب أهل الجنة ، فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق ، والله ما تعمدت كذباً
 مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ، وإن كذبتُموني فإن فيكم من إذا سألتُموه
 عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبا سعيد الخدري ،
 وسهل بن سعد الساعدي ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يخبروكم أنه
 سمعوا هذه المقالة من رسول الله (ص) لي ولأخي ، أما في هذا حاجزٌ لكم عن
 سفك دمي ، فقال له : شمر بن ذي الجوشن هو يعبد الله على حرف إن كان
 يدري ما تقول ، فقال له حبيب بن مظاهر والله أني لأراك تعبد الله على سبعين
 حرفاً ، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك ، ثم
 قال لهم الحسين (ع) فإن كنتم في شك من هذا أفتشكون في أني ابن بنت
 نبيكم ، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ،
 ويحكم أطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال استهلكته أو بقصاص من جراحه ،
 فأخذوا لا يكلمونه فنأدى : يا شُبث بن ربعي ويا حجار بن أبجر ، ويا
 قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلي قد أينعت الشار ،
 واخضرت الجنان ، وإنما تقدم على جند لك مجنده فقال له قيس بن الأشعث :
 ما ندري ما تقول ، ولكن انزل على حكم بني عمك فإنهم لن يُروك إلا
 ما تحب ، فقال له الحسين (ع) «والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الدليل ولا أفر
 فرار العبيد»^(١) واستمر في خطابه حتى يلقي الحجة عليهم أو عليهم يرجعون عن
 غيهم ، إلا أن الأعداء قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة .
 قست القلوب فلم تمل هداية تباً لهاتيك القلوب القاسية

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٦٠٢) .

ولم ينتصح من هذا الكلام إلا الحربن يزيد الرياحي حيث ضرب فرسه وجاء منكساً رأسه إلى سيد الشهداء فقال الحسين (ع) : ارفع رأسك من أنت ؟ قال : أنا الذي جعجعت بك وأنا نائب ، وما ظننت أن هؤلاء يقتلونك فهل ترى لي من توبة . فقال له الحسين (ع) : إن تبت تاب الله عليك .

وما هي إلا لحظات حتى شبت لظى الحرب واستعرت هامة المعركة وإذا مع الحسين أصحاب كأنهم الأسود الضارية يستमितون دون الحسين (ع) ويستأنسون بالمنية استثناس الطفل الصغير بمحالب أمة ، وقد وصفهم عباس محمود العقاد في كتابه «أبو الشهداء الحسين بن علي» حيث قال «كانوا كفؤاً لمبارزة الأنداد واحداً بعد واحد ، حتى يفرغ جيش عبيد الله من فرسانه القادرين على المبارزة ولا يبقى منهم غير الهمل^(١) يتددون في منازل الشجعان كما تتدد السائمة المذعورة بالعراء كلهم لهم شهرة بالشجاعة والبأس وسداد الرمي بالسهم ومضاء الضرب بالسيف ، فلم يتعرض لهم أحد من جيش ابن زياد ، إلا فشل أو نكص على عقبه ، فخشي رؤوس الجيش عقبى هذه المبارزة التي لا أمل لهم في الغلبة بها ، وصاح عمر بن الحجاج برفاقه : أتدرون من تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان مصر ، وقوماً مستميتين ، لا يبرز إليهم منكم أحد فإنهم قليل . . . لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم»^(٢)

وإذا كان هؤلاء أنصار الحسين (ع) الذين تعلموا البسالة والبطولة منه فما بالك به وبأهل بيته ، ولو تجسدت تلك المعركة أمام ناظريك أو كنت

(١) الإبل بلا راع .

(٢) أبو الشهداء - الحسين بن علي - عباس محمود العقاد - ص (١٠١)

شاهدها ، لا اندهش عقلك من كفاح الحسين(ع) وأهل بيته وهم عما قريب يعلمون أن هؤلاء الأعداء يسبون نساءهم ويسلبون متاعهم فهذا سيد الشهداء يطحنهم في ازدلاف الأسنة طحن الرحي وهم يفرون من بين يديه كما تفر المعز إذا كر عليها الأسد المصور .

وما زالوا يقاتلون قتال الأبطال حتى تدفقت جموعهم وقد أحاط كل جمع ببطل من أبطال بني هاشم حتى أثختهم الجراح وأخذوا يتساقطون واحداً بعد الآخر .

والحوراء زينب(ع) ترقب آها من بعيد بعد أن أصبحوا للأسنة غرضاً والنساء يحتمون بظلمها ، ويلجأن إليها ، وكلما سقط شهيد من آها أخذه الحسين(ع) إلى خيمة أعدت للشهداء فتعالجه زينب(ع) إلى أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديها .

ولما رأت الحوراء زينب(ع) ابن أخيها علي الأكبر الذي كان شبيه الرسول(ص) خلّقا وخلّقا ، وكانوا إذا اشتاقوا إلى رسول الله (ص) نظروا إليه ، لما رآته سقط على الأرض مضرباً بدمائه وهو يصيح بوالده الحسين(ع) وقد حمله الفرس إلى عسكر عدوه فقطعوه بالسيوف ، والحسين يعدو خلفه حتى جاءه ورمى بنفسه عليه وصاح «على الدنيا بعدك العفا ، أما أنت فقد استرحت

من هم الدنيا وغمها وسرت إلى روح وريحان وجنة ورضوان ، وبقي أبوك لهما
وغمها»^(١) .

ولما رأت الحوراء زينب(ع) هذا المنظر خافت على أخيها الحسين أن يموت
على جسد ولده علي ، فخرجت صارخة باكية ، كما روى حميد بن مسلم قال :
(لكأنني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس طالعة تنادي بالويل
والثبور ، تصيح ، واحبيباه ! واثمة فؤاده ، وانور عيناه ، فسألتُ عنها ، فقل
هذه زينب بنت علي ، فجاء إليها الحسين حتى أخذ بيدها وردها إلى
الفسطاط»^(٢) .

وما أن رجعت الحوراء زينب(ع) إلى الخيام ، وهي لما تحف دموعها
بعد ، حتى رأت ابن أخيها زين العابدين وقد اشتد به المرض وهو يروم الخروج
من الخيام ليقا تل مع والده وأهل بيته ، فتمسك به حتى لا يُقتل وينقطع بذلك
نسل الرسول(ص) ، كما روى ذلك الخوارزمي في مقتل الحسين(ع) في الجزء
الثاني صفحة (٣٢) حيث قال «فخرج علي بن الحسين(ع) وهو زين العابدين
وهو أصغر من أخيه علي القتيل ، وكان مريضاً لا يقدر على حمل سيفه ، وأم
كلثوم تُنادي خلفه : يا بني ارجع فقال : يا عمته ذريني أقاتل بين يدي ابن

(١) وسيلة الدارين - السيد ابراهيم الزنجاني - ص (٢٩١)
(٢) مقتل الحسين - الخوارزمي - ج ٢ - ص (٣١) وفي مقتل أبي مخنف روى هذا عماره بن
سليمان عن حميد بن مسلم - ص (١٢٩)

رسول الله فقال الحسين(ع) يا أم كلثوم خذيه ورديه حتى لا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد» .

هكذا كانت الحوراء زينب(ع) تحمل على كاهلها العبء الأوفر في يوم عاشوراء فكانت تقوم برعاية النساء والأطفال ، وكانت تُمرض الجرحى وتواسي ابن أخيها علي وتعالجه وتحفظه حتى لا ينقطع بموته نسل الرسول ، وما زالت الحوراء زينب على تلك الحالة وهي ترعى ابن أخيها وتراقب نساءها لتمر عليها ساعة مثقلة بالمرارة والأسى إلى أن وجدت أخاها وعزيزها الحسين قد بقي وحيداً فريداً ، لا ناصر له ولا معين ، ينظر عن يمينه وأخرى عن شماله ، فلا يرى إلا جثث أصحابه وأهل بيته فأخذ يناديهم «مالي أناديكم فلا تجيبون ، وأدعوكم فلا تسمعون أنتم نيام أرجوكم تنتبهون»^(١) . وما زال يناديهم ويقول : واقلة ناصراه ، هل من ناصر ينصرنا ، هل من ذاب يذب عنا ، حتى قصد النساء والأطفال وأخذ يودعهم وداعاً لا رجوع بعده «ثم نادى يا أم كلثوم ، يا زينب ، يا سكينه ويا رقية ويا عائكة ويا صفية عليكن مني السلام ، فهذا آخر الاجتماع ، وقد قرب منكم الإفتجاع فصاحت أم كلثوم يا أخي كأنك استسلمت للموت فقال لها الحسين(ع) : يا أختاه فكيف لا يستسلم من لا ناصر له ولا معين»^(٢) .

(١) مقتل أبي مخنف - ص (١٣٣)
(٢) مقتل الحسين(ع) - الخوارزمي - ص (١٣١)

وفي معالي السبطين ناقلاً عن الناسخ إن الحسين(ع) دعا العيال وقال
 لهم (استعدوا للبلاء ، واعلموا أن الله حافظكم وحاميكم ، ويتجنبكم من شر
 الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ويعذب أعاديكم بأنواع البلاء ويعوضكم
 الله عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة ولا تشكوا ولا تقولوا بألستكم
 ما ينقص قدركم ، وكأني أراكم عن قريب غير بعيد ، كالإماء والعبيد
 يسوقونكم أمام الركاب ، ويسومونكم سوء العذاب ، فلما سمعت زينب(ع)
 بكّت ونادت ، واوحدتاه ، واقلة ناصراه ولطمت وجهها فقال الحسين(ع) :
 مهلاً يا بنت المرتضى إن البكاء طويل»^(١) .

ثم أخذ يودعهم ويسميهم بأسمائهم ، فالتف النساء والأطفال حوله
 وأحاطوا به وهو يقول ، في أمان الله أهل بيتي ، ثم تقدم نحو المعركة وعيون
 النساء تلاحقه ، وأخذ يقاتل قتالاً شديداً ، وهم ينهزمون بين يديه حتى قال
 بعض من شهد الواقعة «ما رأيت مكسوراً قط ، قُتل ولده وإخوانه وبنو عمه
 وأهل بيته ، أربط جأشاً ولا أمضى جناحاً ولا أجراً من الحسين(ع) ، ولا رأيت
 قبله ولا بعده مثله لقد رأيت الرجال تنكشف عنه إذا شدّ فيهم انكشاف المعزى
 إذا عاث فيها الذئب»^(٢) .

وما زال يبدد جموعهم ويحصد في رؤوسهم حتى رموه بالسهام فأصبح
 جسده كالقنفذ من كثرة ما نبت فيه منها ، ثم جاءته الحجارة من كل مكان ،

(١) نهج الشهادة - السيد مرتضى الحسيني - ص (٣٠٥)

(٢) مقتل الحسين (ع) - الخوارزمي - ج ٢ - ص (٣٨)

فجاءه حجر على جبينه فسال الدم على وجهه وعينه فرفع ثوبه يجفف الدم ، ثم رماه آخر بسهم ذي ثلاث شعب وأصاب لبة قلبه ، فأراد الحسين(ع) أن يخرجهم فما استطاع ثم قال «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ثم أخرج السهم من قفاه ، وانبعث الدم كالميزاب»^(١) ، ثم سقط على الأرض صريعاً وهو يخور بدمه ويقول «صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له ، يا دائماً لا نفاذ له ، يا محيي الموتى ، يا قائماً على كل نفس بما كسبت ، احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين»^(٢) ، ثم أخذ الدم وصار يخضب به رأسه ولحيته وهو يقول : هكذا ألقى الله وأنا مخضبٌ بدمي ، وهنا يقول هلال بن نافع «كنت واقفاً نحو الحسين عليه السلام فرأيت يجره بنفسي ، فوالله ما رأيت قتيلاً قط مضمخاً بدمه أحسن منه وجهاً ولا أنور لقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله»^(٣) . وما زال يجود بنفسه ، ويتقلب على صحراء كربلاء إلى «أن قال عمر بن سعد لرجل عن يمينه انزل ويحك إلى الحسين فأرحه»^(٤) .

فلما تقدم ليحز رأسه جبن وأرعد ، ونزل خولي بن يزيد الأصبحي ليحز رأسه فملكته رعدة في يديه وجسده»^(٥) .

(١) نفس المهموم - ص (١٨٩)

(٢) رياض المصائب - ص (٣٣)

(٣) مأساة إحدى وستين - عبد الحسن العاملي - ص (٧٧)

(٤) في رحاب أئمة أهل البيت - السيد محسن الأمين العاملي - ج ٣ - ص (١٣٤)

(٥) أبو الشهداء الحسين بن علي - عباس محمود العقاد - ص (١٠٥)

وهكذا كلما تقدم إليه واحد يريد أن يحتز رأسه ضعف ورجع ولهذا يقول

فيه الشاعر :

تريب المحيا تظن السما بأن على الأرض كيوانها
عفيراً متى عاينته الكماة يختطف الرعب ألوانها
فما أجلت الحرب عن مثله صريعاً يجبن شجعانها

إلى أن جاءه شمر ، واعتلى صدره الشريف ، وأخذ يهز أوداجه وهو يقول : «إني لأحتز رأسك ، وأعلم أنك السيد المقدم وابن رسول الله وخير الناس أباً وأماً»^(١) ، وما زال كذلك حتى فصل الرأس عند الجسد ، عندها احمرت الدنيا بل «لم تعرف الحمرة في السماء إلا يوم قتل الحسين(ع)»^(٢) وهجم الجيش على خيام بنات رسول الله ويا لها من ساعة رهيبة ، تكاد السموات يتفطرن فيها وتخر الجبال هداً «حيث مال الناس على ثقله ومتاعه وانتهبوا ما في الخيام»^(٣) .

وصرن النساء «يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخمره وأسورة وهن يصحن : واجداه، وأبتاه وأعلياه وأقلة ناصراه وأحسيناه ، أما من مجير يجيرنا ، أما من ذائد يلود عنا»^(٤) .

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٦١٠)

(٢) الصواعق المحرقة - ص (١١٦)

(٣) الكامل - ابن الأثير - ج ٤ - ص (٥٣) .

(٤) السيدة زينب في الوجدان الشعبي - رضا حسين صبح - ص ٥٣ .

أما الحوراء زينب (ع) فقد «خرجت من الفسطاط وهي تنادي وأخاه
واسيده وأهل بيته ليت السماء اطبقت على الأرض ، وليت الجبال
تدكدكت»^(١) . ثم ابتدرت إلى النساء فصارت تجمع شتاتهن وهي على تلك
الحالة من الضعف والذهول ، وما زال الأعداء يستلبون النساء ويضرمون النار
في الخيام حتى أقبلت الحوراء زينب ناحية خيمة العليل زين العابدين (ع) والنار
أوشكت أن تدنو منه ، فأخذت بيده لتحمله خارج الخيمة وهو يئن من فتك
المرض ووقع المصاب إلى أن رآها رجل من الأعداء فقال لها «يا هذه ما قوفك
ها هنا والنار تشتعل» فبكت وقالت «يا شيخ إن لنا عليلاً في هذه الخيمة ، وهو
لا يتمكن من الجلوس والنهوض فكيف أفارقه وقد أحاطت النار به»^(٢) .

وما زالت معه إلى أن أخرجته من الخيمة .

وهكذا أصبحت الحوراء زينب (ع) رغم الفواجع التي غمرت قلبها ،
وهدت جنبها هي القطب الذي تلوذ به النساء والأطفال فتحفظهم وتحفف
عنهم ثم تبدر إلى ابن أخيها زين العابدين لتفديه بروحها وتحفظه عن
الأعداء ، وليست هذه هي المرة الأولى التي تحفظ فيها الحوراء زينب (ع) الإمام
زين العابدين في كربلاء بل حفظته مراراً كما في «معدن البكاء أن الشمر لعنه
الله همّ بقتل ابن الحسين (ع) وهو مريض فخرجت إليه زينب بنت علي بن أبي

(١) العوالم الامام الحسين (ع) - ج ١٧ - ص ٢٩٧ .

(٢) السيدة زينب في الوجدان الشعبي - رضا حسين صبح - ص ٥٤ .

طالب، (ع) فوقعت عليه وقالت والله لا يُقتل حتى أُقتل فكف عنه^(١) ، وفي رواية أخرى «فتعلقت به زينب وقالت لا يُقتل حتى أقتل دونه^(٢)» .

وما زالت على تلك الحالة من جمع شتات النساء ، وانقاذ الأطفال من تحت حوافر الخيول وحفظها لابن أخيها زين العابدين (ع) .

وما زال الأعداء يتتبعن النساء من أهل بيت رسول الله «ينازعنهن الحلي والثياب ، لا يزعهم عن حرمت رسول الله وازع من دين أو مروءة وانقلبوا إلى جثة الحسين (ع) يتخطفون ما عليها من كساء تخللته الطعون حتى أوشكوا أن يتركوها على الأرض عارية لولا سراويل لبسها رحمه الله ممزقة وتعتمد تمزيقها لتركوها على جسده ولا يسلبوها ، ثم ندبوا عشرة من الفرسان يوطئون جثته كما أمرهم ابن زياد فوطئوها مقبلين ومدبرين حتى رضوا صدره وظهره^(٣)» .

وهكذا تسللت خيوط الشمس وهي مفجوعة ثكلى لتغوص في أعماق بعيدة ولتنسل من وحشية الأعداء وشبح الظلمة القادم من بعيد ليلف إرض الدم في طبق من السرية والسكون .

(١) زينب الكبرى - النقدي - ص ١٠٩ .

(٢) تاريخ القرمانى - ص ١٠٨ .

(٣) أبو الشهداء الحسين بن علي - عباس محمود العقاد - ص ١٠٧ .

حتى اذا لاح القمر بألوان باهتة وهدأت سطوة العسلان ، وسكنت الأصوات من كل ناحية إلا من صفير الريح وهي تسفي على أجساد الآل الكرام .

قامت زينب عليها السلام تتفقد الأطفال ، فاذا ما فقدت طفلاً من الأطفال أخذت تبحث عنه في أطراف تلك الصحراء الموحشة حتى إذا ما رآته صريعاً على الأرض وقد شوهدت بدنه وطأة الخيول عادت لتبحث عن طفل آخر ، ولم يكن ثمة غرابة في ذلك ، فقد كان الأعداء على درجة من الهجمية والعنجهية بحيث لا يتورعون عن قتل الأطفال أو ضرب النساء ، كما أشار إلى ذلك عباس محمد العقاد في كتابه أبو الشهداء الحسين بن علي صفحة ١٠٧ حيث قال «فرجما خرج الطفل من الأخبية ناظراً وجلاً لا يفقه ما يجري حوله ، فينقض الفارس الرامح فوق فرسه ويطعنه الطعنة القاضية بمراى من الأم والأخت والعمة والقرية» .

وكما ذكر ذلك رضا حسين صبح في كتابه السيدة زينب في الوجدان الشعبي صفحة ٥٥ حيث قال عن زينب (ع) «وقد تمكنت في الوقت الحرج أن تجمع الأطفال والنساء باستثناء الأطفال الذين سحقهم الخيول» .

وإذا كان الأطفال على براءتهم لم يسلموا من هذه الفورة العارمة للأوباش وهم سكارى بنصر هزيل ، فما بالك بالنساء ، ولهذا أشار الطبري في

تاريخه في الجزء السادس صفحة ٢٦٠ حيث قال «وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول(ص) ففررن بنات الزهراء حواسر مسلبات باكيات» . وقال ابن نما في مثير الأحزان صفحة ٤٠ «ان المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من أصبعها وقرطها من أذن» .

كل ذلك حصل ولم يكن من نسج الخيال ، وكانت الحوراء زينب (ع) قد شهدت كل تلك الأحداث والآن على ضوء هذا القمر الخاليء هي تجمع الأطفال وتهديء من روع النساء .

حتى إذا أوغل الليل وغارت نجومه وأطفئت صهاريج الضوء التي أشعلها الأعداء وهم ينخبون في كؤوس الخمر^(١) وتقوس النساء والأطفال حول بعضهم وهم في العراء توجهت الحوراء زينب (ع) ناحية المعركة وكأنها تبحث عن شيء فكانت تتعثر بجثث القتلى ، وما زالت على تلك الحال إلى أن وصلت إلى جثة أخيها الحسين (ع) عندها لم تملك نفسها فانكبت على جسده الشريف وهي تقول : أنت ابن أُمي ، أنت ابن والدي ، أنت أخي ، ثم وضعت يدها على نحره وهي تقول : أخي من الذي قطع الرأس الشريف ، ثم حولت وجهها ناحية مدينة جدها وأخذت تخاطبه « يا محمداه صلي عليك ملائكة السماء ، هذا حسين مرمِل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ، مسلوب العمامة

(١) «اخرج ابو نعيم من طريق ابن طيبة عن أبي قنبل قال : لما قتل الحسين(ع) إحتزوا رأسه وقعدوا في أوّل مرحلة يشربون النبيذ» الموسم ص ٩١ العدد الثاني عشر المجلد الثالث .

والرداء ، وبناتك سبايا ، فإلى الله المشتكى وإلى محمد المصطفى وإلى علي المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سيد الشهداء ، يا محمداه هذا حسين بالعراء محزوز الرأس من القفا ، بأبي من أضحى معسكره نهياً ، بأبي من فسطاطة مقطع العرى بأبي من لا غائب فيرتجي ولا جريح فيداوى^(١) .

ولم يكن بكاء الحوراء زينب (ع) جزعاً أو سخطاً من قضاء الله ، وإنما كانت راضية كل الرضا ، وقد أكدت ذلك عندما سألها ابن زياد كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك ، فقالت ما رأيت إلا جيلاً ، وهي الآن تضع يدها تحت جسد أخيها وترفعه نحو السماء وتقول «الهي تقبل منا هذا القربان»^(٢) .

أي عظمة وشموخ هذا الذي تجسد في هذه المرأة فجعل أفلاك الدنيا تتوقف إجلالاً لعظمتها وطاول الجبال وضخامتها فتصاغرت أمام كبريائها .

لقد أدت العقيلة زينب (ع) دورها ببراعة نادرة فكانت ملاذاً للنساء والاطفال وخير معين للإمام زين العابدين (ع) في مرضه وكما قال محمد رضا المدرسي «ان انتظام أمور الهاشميين بعد شهادة الحسين عليه السلام كان برايتها وتدبيرها»^(٣) .

(١) مقتل الامام الحسين - الشيخ عبد الزهراء الكعبي - ص ١٣٣ .

(٢) الكبريت الأحمر - ج ٣ - ص ١٣ نقلاً عن الطراز المذهب .

(٣) جنات الخلود ص ١٩ محمد رضا المدرسي .

وقد حفظ لها التاريخ أكثر من موقف يدل دلالة واضحة على ذلك فهي حينما رأت الإمام زين العابدين (ع) يضطرب في ساحة المعركة ويجود بنفسه وهو ينظر الى جثث أهل بيته متناثرة على أرض كربلاء وقد قطعتها السيوف عمدت اليه فصارت تسكن روعه وقالت له «ما لي أراك تجود نفسك يابقية جدي وأبي واخوتي فوالله ان هذا لعهد من الله الى جدك وأبيك ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعة هذه الارض وهم معروفون في أهل السموات انهم يجمعون هذه الاعضاء المقطعة والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه على كرور الليالي والايام ولتجهدن أئمة الكفر واشياع الضلال في محوه وتطميمه فلا يزداد اثره إلا علواً^(١)» .

وهكذا قادت الحوراء زينب (ع) بقية آل الكرام ولّت شعثهم وابتدت من الصمود والتحمل ما أذهل الاعداء واربك حساباتهم .

(١) كامل الزيارات ص ٢٦١ .

- الفصل السادس -

زينب وإعلان المظلومية

زينب في الكوفة

زينب في الشام

زينب في المدينة

زينب في الكوفة

في صبيحة الحادي عشر من المحرم كان الاعداء يقطعون رؤوس آل الرسول ويرفعونها على الرماح «وروي أن الرؤوس كانت ثمانية وسبعين رأساً»^(١) ثم جاءوا إلى النساء بنياق هزل وأمروهن بالمسير ، وبعد زوال الشمس تحركوا نحو الكوفة «وقد سيروا النساء على أقتاب الجمال بغير وطاء ، كما يساق بني الترك والروم وهن ودائع خير الأنبياء»^(٢) .

وكان الأطفال يتساقطون من على المحامل فكانت الشياطين تأتي عليهن ، وكانت الحوراء زينب(ع) تحتضن الأطفال فتأتي الشياطين على متونها

«وبعد مسير استغرق أكثر من يومين ، وصلت السبايا إلى الكوفة ورؤوس شهداء كربلاء على رؤوس الرماح ، فأمر ابن زياد أن يُطاف بهم في شوارع وأسواق الكوفة ، وأمر أن تجعل الرؤوس في أوساط المحامل أمام

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٦١٢)

(٢) مقتل الحسين(٤) - عبد الرزاق المكرم - ص (٣٠٥)

النساء»^(١) وما أن رأى الناس هذا المشهد الغريب حتى انثالوا كعرف الضبع نحو نساء الرسول ، وصاروا ينظرون اليهن ، ولما رأت الحوراء زينب عليها السلام أهل الكوفة يتصفحون وجوه النسوة صاحبت فيهم «يا أهل الكوفة أما تستحون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حرم النبي»^(٢) .

وكان منظر السبايا وهم بين امرأة وطفل يقوم ويكبوا من شدة الجوع والضعف منظرأً أدهش الحاضرين وأوجل قلوبهم ، ولم يستطع البعض أن يعقل ثورة الحزن في نفسه فأجهشوا بالبكاء ، أما البعض الآخر فصار يحضر التمر والجوز ، ويناولها الأطفال «فصاحت أم كلثوم إن الصدقة علينا حرام ، ثم رمت به إلى الأرض»^(٣) .

ثم ابتدرت إلى الحشود وأومات اليهم أن اسكتوا ، فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس ثم قالت «الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطاهرين أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا قطعت الرنة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم وهل فيكم إلا الصلف»^(٤) النطف^(٥) والصدر الشنف^(٦) وملق^(٧) الاماء

(١) السيدة زينب في الوجدان الشعبي - رضا حسين صبح - ص (٥٧)

(٢) الدمعة الساكية - ص (٣٦٤)

(٣) أسرار الشهادة - ص (٤٧٧)

(٤) الصلف بفتحيتين ادعاء الانسان فوق ما فيه تكبراً وهو صلف ككتف .

(٥) النطف بالتحريك التلطف وهو نطف أي متلطف بالعيب .

(٦) الشنف بالتحريك البغض والتكر و صدر شنف أي مضغ متكرر .

(٧) الملق الاعطاء باللسان ما ليس في القلب .

وغمز^(١) الأعداء أو كمرعى على دمنة^(٢) أو كفضة على ملحودة^(٣) ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سحق الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون . أتبكون وتنتحبون أي والله فابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها^(٤) ولن ترحضوها^(٥) بغسل بعدها أبداً وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حيرتكم ، ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم (محجتكم) ومدره^(٦) ستتكم ألا ساء ما تزررون ، وبعداً لكم وسحقاً فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة ويؤثم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة ، ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم (فرثتم)^(٧) وأي كريمة له أبرزتم وأي دم له سفكتم وأي حرمة له انتهكتم لقد جئتم بها صلعاء^(٨) عنقاء^(٩) سوءاء^(١٠) فقهاء^(١١) نأناء^(١٢) وفي رواية

-
- (١) الغمز الطعن .
 - (٢) الدمه بالكسر الموضع الغريب من الدار يضرب مثلاً لمن يروق منظره ويسوء مخبره .
 - (٣) ملحودة أي مئة موضوعة في اللحد .
 - (٤) الشنار العيب .
 - (٥) تغسلوها .
 - (٦) المدره كمنبر زعيم القوم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى رأيه .
 - (٧) الفري القطع والغرث التفتيت .
 - (٨) الصلعاء الداهية القبيحة المكشوفة .
 - (٩) العنقاء الداهية .
 - (١٠) قبيحة .
 - (١١) عظيمة .
 - (١٢) النأنة العجز والضعف .

خرقاء^(١) شوهاء^(٢) كطلاع الأرض^(٣) أو مليء السماء أفعجبتهم إن مطرت السماء دماً فلعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فإنه لا يحفزه^(٤) البدار ولا يخاف فوت النار وإن ربكم بالمرصاد^(٥) .

وهكذا زلزلت الحوراء زينب(ع) الأرض تحت أقدامهم وغمرتهم بسيل جارف من البطولة والعظمة وارتبكت حسابات الأعداء حيث كانوا يظنون انهم بقتل الحسين سينتهي كل شيء وستنقاد الأمور إليهم طائعة مستسلمة .

إلا أن الحوراء زينب عليها السلام فجرت الساحة العامة في أول مهرجان يحتفل بالانتصار فقذفت أهل الكوفة الذين غرروا بالحسين(ع) وخدعوه ، قذفتهم بشلال هادر من حمم متوهجة يحفر في ضمائرهم أخذوداً لندم بما فرطوا وخذلوا ، وماج الحاضرون سكارى تائهين تصطفق أيديهم على أكفهم حسرة وندماً ، وكأنهم أفاقوا من سبات طويل ، وراح يلتحم بعضهم في بعض حياءً ، وتمنوا لو شقت الأرض فطمرتهم ، وقد نقل هذا المشهد خزيم بن بسرّ الأسدي حيث قال «فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى ييكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته وهو

(١) الخرق ضد الرفق .

(٢) قبيحة .

(٣) أي ملؤها .

(٤) لا يعجله .

(٥) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٦١٣)

يقول : بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونساؤكم خير النساء ونسلكم خير نسل ، لا يُخْذَى ولا يُبْذَى»^(١) .

وهكذا تعلمنا الحوراء زينب عليها السلام أنجع سلاح من أسلحة الدفاع عن العقيدة وهو السلاح الإعلامي أو سلاح المظلومية ، ولو لم تكن الحوراء زينب عليها السلام حاضرة يوم عاشوراء مع باقي النسوة ، لُقُتِلَ الامام زين العابدين مع ابيه الحسين وأصحابه وطمس الأمر وكأنه لم يك شيئاً وهنا جاءت كلمة الامام الحسين(ع) وحنكته فقد أخرج الحوراء زينب(ع) وعرضها للسبي لتكمل مسيرته وتستمر جهود ثورته وتكشف أراجيف الحكم الأموي وأباطيله ، ولهذا أشار الشيخ محمد جواد مغنیه في كتابه مع بطله كربلاء صفحة (٥٤) حيث يقول : «لقد رأى المسلمون في السبايا من الفجیعة أكثر مما رأوا من قتل الحسين ، ولولا هن لم يتحقق الهدف من قتل الحسين وهو انهيار دولة الظلم والطغيان» .

وقد أدت الحوراء زينب(ع) دورها على أكمل وجه وكدّرت على الأمويين صفو الابتهاج بنصرهم الموهوم ، وساد الإضطراب كافة أرجاء الكوفة وأسقط في يد ابن زياد فخشي من وقوع الفتن فأمر جلاوزته بإحضار السبايا إلى مجلسه وكان قد زين أرجاء القصر «ثم أذن للناس أذنأ عاماً فأدخلت عليه حرم رسول الله بحالة تقشعر لها الجلود»^(٢) .

(١) في رحاب أئمة أهل البيت - السيد محسن العاملي - ج٣ - ص (١٤٣)

(٢) أخبار الدول لأبي العباس أحمد القرماني - ج١ - ص (٨)

وأدخل نساء الحسين(ع) وصبياناه علي ابن زياد ، فلبست زينب عليها السلام أردل ثيابها وتنكرت ومضت حتى جلست ناحية من القصر ، وحف بها اماؤها ، فقال ابن زياد من هذه ، فلم تجبه فأعاد الكلام ثانياً وثالثاً يسأل عنها فلم تجبه فقال له بعض إمائها هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله(ص) فأقبل عليها ابن زياد وخاطبها بما فيه الشهامة والجفاء والغلظة والجرأة على الله ورسوله كما يقتضيه لؤم عنصره وخبث طينته ، وأراد تصديق كونه دعيا ابن دعي فقال لها : الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم واكذب أحدوئثكم ، فأجابته زينب(ع) بما أخرسه وأخزاه وفضحه فقالت : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد(ص) وطهرنا من الرجس تطهير ، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا فقال كيف رأيت فعل الله بأخيك وأهل بيتك ، فقالت ما رأيت إلا جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم ففتحاجون إليه وتختصمون عنده ، فانظر لمن الفلج يومئذ هبلك أمك يا ابن مرجانة ، فغضب واستشاط حين أعياه الجواب وكأنه هم بها فقال له عمرو بن حريث : أيها الأمير انما امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها ولا تدم على خطيئتها ، فلجأ ابن زياد حينئذ إلى البداءة وسوء القول مما هو جدير به فقال لها : لقد شفى الله نفسي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك ، فرقت زينب وبكت وقالت له : لعمرى لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي فإن كان هذا شفاءك فقد اشتفيت ، وعرض عليه زين العابدين علي بن الحسين(ع) فقال من أنت ؟ قال علي بن الحسين فقال : أليس قتل الله علي بن الحسين فقال له علي : قد كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس ،

فقال بل الله قتله ، فقال علي بن الحسين الله يتوفى الأنفس حين موتها فغضب ابن زياد وقال وبك جرأة لجواي وفيك بقية للرد علي اذهبوا به فاضربوا عنقه ، فتعلقت به عمتة زينب وقالت با ابن زياد حسبك من دمائنا واعتنقته وقالت لا والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه فقال لها علي اسكتي يا عمه حتى أكلمه ثم أقبل عليه فقال أباالقتل تهددني يا ابن زياد أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين وأهل بيته فحملوا إلى دار بجانب المسجد الأعظم^(١) .

وهكذا حفظت الحوراء زينب (ع) للمرة الرابعة ابن أخيها الامام زين العابدين من قتل محتوم وحفظت بذلك سلالة الأئمة من ولده ، وقد كان لهذه الجرأة النادرة التي أظهرتها زينب عليه السلام في مجلس ابن زياد وازدادة إلى كلامها الصارخ والذي كشفت فيه ابن زياد على حقيقته أمام الجمع الغفير ، لقد كان لكل ذلك الأثر الكبير في اضطراب الوضع في مجلس ابن زياد وفساد الأمور عليه ، حيث تحرك ضده وفي مجلسه ثلاث من الشخصيات وهم زيد بن أرقم وأنس بن مالك وعبد الله بن عفيف الأزدي .

أما زيد بن أرقم فقد كان قلبه يغلي كالمرجل وهو يشهد هذا الوادي السحيق الذي سقطت فيه لأمة وهو لا يدري ماذا يصنع ، ولما كان حاضراً في مجلس ابن زياد ورأى فورة عارمة من امرأة ضعيفة مسببة تتحدى بها سياط ابن

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٦١٤) .

زياد وسيوف جلاوزته ، وقد أدهش لبه من كل ذلك ، ثم رأى ابن زياد ينكث ثانيا رأس الحسين (ع) ليحرق قلب زينب والنساء ، صرخ في وجه ابن زياد «ارفع القضيب عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا اله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله (ع) على هاتين الشفتين»^(١) .

ثم التفت اليه ابن زياد وقال : لولا أنك شيخ قد خرقت وذهب عقلك لضربت عنقك فخرج زيد من مجلس ابن زياد وهو يقول (يا معشر العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل^(٢)) أما أنس بن مالك فقد كان يشهد ذلك الموقف بترقب وحذر ولم يستطع أن يتمالك نفسه فرفع طرفه نحو ابن زياد وشرأبت أعناق الحضور وهم يرصدون هذا الموقف فقال أنس بن مالك وهو يحرق النظر في ابن زياد «والله لأسوئتك أني رأيت رسول الله يلثم حين تنكث»^(٣) .

فتزلزلت الأرض تحت قدمي ابن زياد ولم يدري ما يصنع فقال «الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، ثم أخذ يشتم الامام الحسين (ع) فقام له عبد الله بن عفيف الأزدي وقال «يا ابن

(١) مقتل الحسين (ع) الخوارزمي - ج ٢ - ص ٤٦ .

(٢) مجمع الزوائد - ج ٩ - ص ١٩٥ .

(٣) ابن عساكر - ج ٢ - ص ٢٤ .

مرجانة انما الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه يا ابن مرجانة ؟ أتقتلون أبناء النبيين ، وتتكلمون بكلام الصديقين^(١) .

فاستشاط ابن زياد غيظاً وأمر جلاوزته بإحضاره وضرب عنقه فصاح عبد الله الأزدي بقومه وكان حاضراً في الكوفة يومئذ من الأزد سبعمائة مقاتل ، فانترعوا عبد الله الأزدي من أيدي الجلاوزة بالقوة وأخذوه إلى منزله ، وقد كان بعض النفر من قبيلة بكر بن وائل يشهدون كل هذه الأحداث ، فقام منهم رجل يقال له جابر^(٢) وقد هزّه كل ما رأى فقال : «لله عليّ أن لا أصيب عشرة من المسلمين خرجوا عليك إلا خرجت معهم»^(٣) .

وهكذا اضطرب المجلس اضطراباً شديداً وكاد ينقلب على ابن زياد ، فلما أحس ابن زياد ذلك ، أمر بإخراج السبايا وحبسهم ومن ثم أرسلهم إلى يزيد بن معاوية . ولما تحركت قافلة السبي وهي تقصد الشام وأوشكت أن تغادر الكوفة رأت الحوراء زينب (ع) أمواجاً بشرية متلاطمة وهي تودعهم وآثار الحزن والندم والكتابة بادية على محياهم ، وقد ولول من كان حاضراً من النساء وضجوا بالصراخ ، التفتت الحوراء زينب عليها السلام إليهم لتوضح الغمرة التي سهوا في جنباتها فقالت «صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم ، وتبكيها نسائكم فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب ، يا أهل الكوفة سوأة

(١) الطبري - ج ٦ - ص ٢٦٣ .

(٢) في معالي السبطين - ج ٢ - ص ٦٨ ذكر اسم جبير بدل جابر .

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان - ص ٩٨ .

لكم ، ما لكم خذلتكم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله ، وسبيتم نساءه ونكبتموه ،
فتباً لكم وسحقاً ، ويلكم أتدرون أي دواهي دهتكم وأي وزر على ظهوركم
حملتم وأي دماء سفكتكم وأي كريمة أصبتموها ، وأي صبية أسلمتموها ، وأي
أموال انتهبتموها ، قتلتم خير الرجال بعد النبي ، ونزعت الرحمة من قلوبكم
ألا أن حزب الله هم المفلحون ، وحزب الشيطان هم الخاسرون .

فضج الناس بالبكاء ونشروا الشعور ، وخمشوا الوجوه ولطموا الخدود
ودعوا بالويل والثبور^(١) .

وقد أحس كل من كان حاضراً بفضاعة الأمر وهول الخطب ، وبعد أن
حطمت كلمات الحوراء زينب (ع) جدار الجبن والرذيلة والقسوة التي لفت
قلوبهم ووصلت كلماتها إلى أعماق تلك القلوب فراحت تصرخ في داخلهم
وأخذوا يبحثون عن خلاص من عذاب الضمير الذي بات يؤرق ليلهم . وجاء
بعضهم إلى الامام زين العابدين (ع) فقالوا له «مرنا بأمرك يرحمك الله فانا
حرب لحربك ، وسلم لسلمك ، لناخذ يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا فقال
(ع) هيهات أيتها الغدرة المكره ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون
أن تأتوا إلى كما أتيتم إلى أبائي من قبل ، كلا ورب الراقصات فان الجرح لما
يندمل^(٢)» .

(١) مقتل الحسين (ع) - عبد الرزاق المرقم - ص ٣١٦ .

(٢) أعيان الشيعة - ج ١ ص ٦١٤ .

وهكذا خرجت الحوراء زينب (ع) من الكوفة بعد أن تركت أهلها غارقون في بحر الندامة ، وقد أظهرت ابن زياد ويزيد على حقيقتهم وحولت مهرجانات الفرح والسرور إلى مجالس للعزاء والتأبين ، وقد غرست في نفوسهم بذرة الحقد على الدولة الأموية لتكبر يوماً عن يوم .

وهكذا «أصبحت الكوفة غير مستقرة ، فالنساء العربيات أقمن النياحة على الحسين ، وأنكرت على أزواجهن فعالهن^(١)» .

(١) مع الحسين في نهضته - أسد حيدر - ص ٣٠٨ .

زينب في الشام

كانت الشام تستعد لاستقبال قافلة السبي ، وقد لبست أفخر ثيابها وتزينت وخرج الناس في الشوارع يسترقون السمع عن أنباء وصول موكب الرؤوس وسبايا الحسين(ع) ، «وفي أول يوم من صفر»^(١) أي بعد عشرين يوماً من استشهاد الحسين(ع) وأهل بيته وأصحابه ، شاع خبر عن قرب وصول السبايا إلى مدينة دمشق فصرع الناس من كل حذب وصوب وضائق الشوارع وصوب الجميع بصره ناحية الطريق الذي سيمر منه الركب وبعد هنيئة لاحت من بعيد رؤوس على الرماح واقتربت شيئاً فشيئاً وقد توسطتها نساء متعبات وأطفال شعث الوجوه والرؤوس ، ورجل مثقل بالأغلال وقد وضعت في عنقه جامعة»^(٢) .

ودقت الطبول ، وعزفت المزامير ، ورفرفت الرايات ، واصطفق الحاضرون أكفهم وراحوا يتمايلون مع الريح يشيدون بهذا الفتح الكبير

(١) الآثار الباقية - البيروني - ص(٣٣١)
 (٢) كما في الخطط المقرية - ج ٢ - ص (٢٨٨) . (كانت يدي الامام زين العابدين مغلوله إلى عنقه)

ليزيد بن معاوية . لقد كان التعتيم الإعلامي سياسة قديمة مارسها معاوية وبعده يزيد في هؤلاء الهمج الرعاع ، وقد كان من وصية معاوية لابنه يزيد أن لا يجعل أهل الشام يعيشون في بلد غير الشام فتتغير أخلاقهم^(١) ، لأنهم حين يحتكون بغيرهم من الشعوب ينتهون من سباتهم ، وهكذا اعتبر الحاضرون أن هذا فتح كبير ونصر مؤزر ليزيد ، وأن هؤلاء النسوة سبايا من الترك والديلم . وطاف موكب السبايا على أمواج الحاضرين حتى وصل إلى القصر الأموي ، وهنا أمر يزيد بإيقافهم على أبواب القصر مدة طويلة تنكيلاً بهم ، وكان يزيد في هذه الفترة يلبس أفخر ما لديه من ثياب ويتزين بالخلي ، ويُشرف بنفسه على ما تبقى من زينة القصر ، كما فتح أبواب القصر لاستقبال الأعيان والمقربين والشخصيات .

وبعد مدة طويلة من وقوف النساء والأطفال وهم في حالة من التعب والإعياء تستعطف الأعداء ، أمر يزيد بإدخالهم ، فأدخلوا وهم مقرنون بالحبال . «فالتفت يزيد إلى السجاد(ع) وقال : كيف رأيت صنع الله يا علي بأبيك الحسين ؟ قال : رأيت ما قضاه الله عز وجل قبل أن يخلق السموات والأرض»^(٢)

(١) الكامل في التاريخ المجلد الثالث سنة ستين ص (٣٦٨)

(٢) مقتل الحسين - عبد الرزاق المكرم - ص (٣٥١) .

ونظر رجل شامي إلى فاطمة بنت الحسين(ع) وقال ليزيد هب لي هذه الجارية فلاذت فاطمة بثياب عمتها زينب ، وقالت عمه أو (أيتمت واستخدم) فقالت زينب(ع) كذبت والله ولؤمت ، والله ما ذاك لك ولا له .

فقال يزيد والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت ، فقالت زينب(ع) إلا أن تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا ، فقال يزيد إنما خرج من الدين أبوك وجدك ، فقالت زينب(ع) بدين الله ودين أخي وأبي وجدي اهتديت أنت وجدك وأبوك إن كنت مسلماً ، فشتمها يزيد ، فقالت زينب أنت أمير تشتم ظالماً وتقهّر بسلطانك ، فسكت يزيد ، ثم عاد الشامي وكرر طلبه على يزيد ، فقال له يزيد : وهب الله لك حتفاً قاضياً^(١) .

وهكذا انتصرت الحوراء زينب(ع) على يزيد حيث أوهمته أنه لا يزال على الملة والدين ، حين قالت (إلا أن تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا) ، وقد كان يزيد بطبيعته وقتله الامام الحسين(ع) خارجاً عن الدين والملة .

كفر يزيد :

وإذا ما تأملنا في كلمات الحوراء زينب(ع) وجدنا أنها تشير إلى كفر يزيد صراحة . لقد كان الموقف في غاية الخطورة ويتطلب من الحوراء زينب عليها السلام زعيمه الركب حيث كان الامام زين العابدين لا يزال مريضاً ، كان

(١) تاريخ الطبري المجلد الثالث - ص (٢٦٥) ومثير الأحزان لابن نما - ص(٥٤) .

يتطلب الأمر ذكاء وفطنة أكثر مما يتطلب مجابهة وتحدي ، ولهذا اتخذت زينب(ع) سياسة الإيهام ، حيث أوهمت يزيد أنه لا يزال مسلماً وأن هذا العمل سوف يخرجهم عن الإسلام والدين فقالت له (ألا أن تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا) ومن الواضح أن يزيد كان خارجاً عن الدين والملة ، وقد كان قبل سويقات وهو يتطلع على رؤوس أهل البيت يقول ما يوضح كفره صراحة حيث قال :
لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الرؤوس على شفاعجيرون^(١) .
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فلقد قضيت من الرسول ديوني^(٢)

إذن فيزيد بن معاوية يطالب الرسول(ص) بديون بدر حيث قتل أشيائحه وأقرباءه ولذا كان يقول «فلقد قضيت من الرسول ديوني» ويقول «يوم بيوم بدر»^(٣) . ثم تقول الحوراء زينب(ع) «بدين الله ودين أخي وأبي وجدي اهتديت» فهل كان يزيد مهتدياً ، وكيف يكون مهتدياً وقد قتل الحسين(ع) ، وسبى نساءه .

وهنا أرادت الحوراء زينب(ع) أن توهمه وتلقي في نفسه أنه مهتدٍ وقد وضعت عدم هدايته بل وعدم إسلامه من حيث لا يشعر حيث قالت بعد ذلك «إن كنت مسلماً» فإن هنا أداة شرط يعني أنت مهتدٍ إذا كنت مسلماً ، لكنك

(١) صورة الأرض - لابن حوقل - ص(١٦١)

(٢) روح المعاني - للألوسي - ج٢٦ - ص(٧٣)

(٣) مناقب ابن شعر أشوب - ج٢ - ص(٢٢٦)

لست مسلماً وأنت تطالب الرسول(ص) بديون بدر ، وما دمت كافراً إذا فأنت لم تهتدي .

وهكذا ربح الحوراء زينب عليها السلام الموقف بذكائها الخارق حيث ألقت في نفسه هذا الوهم ، فالتفت إلى ذلك الشامي وقال وهب الله لك حتفاً قاضياً .

إلا أن يزيد ضل فاغراً فاه ، مشدوهاً من هذه القوة في الجانب في امرأة مسبية وقد كان يظن أنها وباقي النسوة سيتوسلون به ، فأراد أن يحرق قلوبهم فأمر برأس الحسين(ع) وصار يضرب ثناياه بقضيبه ، وهو يتمثل في أبيات عبد الله ابن الزبيري :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل .
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا ياي زيد لا تشل
قد قتلنا القرن من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف أن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(١)

ولما رأت الحوراء زينب (ع) هذا الموقف ، دمعت عينها ، وقد احترقت أحشائها على أخيها الحسين (ع) فقالت الحمد لله رب العالمين وصلى الله على

(١) الانتفاضات الشعبية عبر التاريخ - هاشم معروف الحسني - ص(١٤٠١)

رسوله وآله أجمعين صدق الله حيث يقول (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون أظننت يايزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الإماء ، إن بنا هوانا على الله ، وبك عليه كرامة وان ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً لاتطش جهلاً ، أنسيت قول الله تعالى ﴿ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾ أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ليس معهن حماتهن حي ولا رجاهن ولي ، وكيف ترتجي مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأذكىاء ، ونبت لحمه بدماء الشهداء ، وكيف يستبطن في بغضنا أهل البيت من نظر الينا بالشفن والشنآن والإحن والأضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يايزيد لاتشل .

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله ، تنكثها بمخصرتك وكيف لاتقول ذلك ، وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشافة باراقتك دماء ذرية محمد (ص) ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك ، زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ، ولتودن أنك شللت ويكمت ولم تكن قلت ماقلت وفعلت ما فعلت

اللهم خُذْ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا ، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل
 حماتنا فوالله ما فريت إلا جلدك ، ولا حزرت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله
 (ص) بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته
 حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ويأخذ لهم بحقهم ﴿ولا تحسبن الذين
 قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ وحسبك بالله حاكماً
 وبمحمد خصيماً وبجبرائيل ظهيراً وسيعلم من سول لك وممكنك من رقاب
 المسلمين ان بشس للظالمين بدلاً ، واياكم شر مكاناً وأضعف جنداً ، ولئن جرت
 علي الدواهي مخاطبتك اني لأستصغر قدرك واستعظم تقريعتك ، واستكثر
 توبيخك لكن العيون عبرى والصدور حرى ، ألا فالعجب كل العجب ، لقتل
 حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنظف من دمائنا
 والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناها العواسل ،
 وتعفرها أمهات الفراعيل ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدننا وشيكاً مغرماً حيث لا تجد
 إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد ، فالى الله المشتكى وعليه المعول فكـد
 كيدك ، واسع سعيك وناصب بجهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحيـنا
 ولا تدرك أمدنا ، ولا ترحض عنك عارها وهل رأيك الا فند وأيامك إلا عدد
 وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله الذي يختم
 لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسأل الله أن يكمل لهم
 الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة انه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم
 الوكيل^(١) .

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٦١٦)

ولقد أحدث خطاب الحوراء زينب (ع) هزة عنيفة في مجلس يزيد وكذّرت عليه صفو الابتهاج ، وكسرت سورة النصر داخلة وكشفت الزيف والأباطيل التي بعثها يزيد في اهل الشام ان هؤلاء سبايا الترك والديلم ، فانتفض مجلس يزيد ووقع الخلاف .

فقال أبو برزة الأسلمي «لقد رأيت رسول الله (ص) يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول : لعن الله قاتلكما وأعد له جهنم ، فغضب يزيد وأمر به فأخرج سحياً»^(١) .

أما الحسن بن الحسن (المثنى) فلما رأى يزيد يضرب رأس الحسين (ع) بالقضيب قال واذلاه :
سميه امسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل^(٢)

وقد كان هناك رسول نصراني بعثه قيصر إلى يزيد ، فلما رأى يزيد يقرع ثنايا الحسين (ع) قال : ان عندنا حافراً لعمار عيسى (ع) ونحن نحج اليه كل عام ونعظمه ، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم ، أشهد أنكم على باطل ، فغضب يزيد وأمر بقتله ، فقام الى الرأس وقبله وشهد الشهادتين»^(٣)

(١) تاريخ الطبري - ج ٦ - ص (٢٦٧) .

(٢) مثير الأحزان - ابن نما - ص(٥٤)

(٣) مقتل الخوارزمي - ج ٢ - ص(٧٢) .

«وسمعت هند بنت عمرو بن سهيل زوجة يزيد كلام الحوراء زينب (ع) فتذكرت صوت الإمام أمير المؤمنين (ع) وكانت قد عاشت هند في بعض أيامها في منزل أمير المؤمنين مع زينب (ع) تقوم بخدمتها حيث تركها أبوها عمرو بن سهيل وذهب في سفر ، ولما سمعت هذا الصوت أرسلت جاريتها لتأتيها بالخبر ، فأقبلت الجارية وقالت : يقولون ان المتكلمة زينب بنت علي بن أبي طالب ، فخرجت هند كاشفة الرأس وهي مولولة «ولم تبق من آل معاوية امرأة الا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين (ع)»^(١) .

وهكذا «أحدث خطاب العقيلة زينب انقلابا فكريا في جميع الأوساط وأصبحت حديث الأندية والمجالس فكانت تغلي كالحمم على تلك الدولة الغاشمة وهي تنذر بانفجار شعبي يكتسح دولة يزيد»^(٢) .

ولما خاف يزيد من انقلاب الأمر ووقوع الفتنة أمر بإرسال الحوراء زينب والامام زين العابدين وباقي النسوة على جناح السرعة إلى مدينة جدهم ، وانتدب النعمان بن بشير ليقود الركب مع الرفق ويوصلهم حيث شاءوا ، وقد أمره أن يخرج بالموكب ليلا^(٣) لأنه خشي وقوع الفتنة بعد ان اضطربت الأوضاع .

(١) السيدة زينب - بنت الشاطيء - ص (١٤٥)

(٢) حياة الامام الحسين بن علي - ج ٣ - ص (٤١٣)

(٣) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام - ص (١٢٨)

زينب في المدينة

وصل الركب في طريقة من الشام قاصداً المدينة المنورة في العشرين من صفر ، وكان مثقلاً بالهموم إلا انه لقي متنفساً كبيراً في هذه المرة حيث كان النعمان بن بشير كثير الرفق بهم ، اذ نزلوا انتحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم ، ومازال يرفق بهم في الطريق حتى وصلوا العراق فطلبوا من النعمان أن يميل بهم إلى كربلاء^(١) ليتودعوا من قتلاهم ففعل ، وعندما وصلوا إلى كربلاء وجدوا هناك جابر بن عبد الله الأنصاري ، فحطوا رحالهم في كربلاء وهم في حالة يرثى لها من البكاء والعيول وإقامه المآتم على أحببتهم الذين أمسوا يسكنون هذه القبور ، وجلسوا ثلاثة أيام ثم توجهوا الى المدينة المنورة .

وكانت المدينة في ذات الوقت تعيش اعصاراً رهيباً من الحزن حيث تسربت الأنباء اليها بقتل الحسين واهل بيته(ع)، ففرقت الأعلام السود على بيوت

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص(٦١٧) .

الهاشميين، وضج الناس بالبكاء والعيول حتى غدت المدينة كأنها سفينة يتقاذفها سيل طاغي الشعب بل «لم تسمع واعية قط مثل واعية بني هاشم»^(١).

وما زالت المدينة تموج بأهلها في دوامة الحزن الثقيل والركب الزينبي يسير بطيء الخطى حتى لاحت له هامات النخيل التي كانت تلف المدينة واقترب الركب شيئاً فشيئاً حتى أشرفوا على أبوابها.

فحظ الامام زين العابدين رحله وضرب فسطاطه وأنزل النساء، والتفت إلى رجل يسمى بشر بن حذلم فقال له يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه فقال : نعم سيدي انني لشاعر فقال له : ادخل المدينة وانعي الحسين ، فركب بشر فرسه ودخل المدينة وهو ينادي يا اهل يثرب ، يا اهل يثرب ، فجاء الناس من كل مكان وهم يقولون ما الخبر ، فقال : الخبر عند مسجد الرسول ، وهرع الناس خلفه ، فلما وصل المسجد رقع صوته بالبكاء وهو ينشد :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مدرار .
الجسم منه بكربلا مخرج والرأس منه على القناة يدار^(٢).

ثم قال «يا اهل المدينة هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ، ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله اليكم» فما بقيت في المدينة نخدرة

(١) ثورة الحسين - محمد مهدي شمس الدين - ص (٢٣١)

(٢) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٦١٧)

ولا محجة الا برزن من خدورهم وهن يدعين بالويل والثبور^(١) فكان كيوم مات رسول الله^(٢) .

وهرع الناس الى الامام زين العابدين (ع) وأهل بيته وعجت المدينة بالنياحة وزلزلت زلزلاً رهيباً .

أما الحوراء زينب (ع) فقد توجهت نحو قبر جدها الرسول (ص) ، فلما وصلت الى قبره أخذت بعضاضتي المسجد وقالت «ياجداه اني ناعية اليك الحسين»^(٣) .

واستمرت العقيلة زينب عليها السلام على هذه الحالة من البكاء والنحيب وإقامة المآتم على أخيها الحسين (ع) وقد كانت تهدف من وراء ذلك تأليب الناس على يزيد والحكومة الجائرة ، وقد نجحت في ذلك فعلاً. كما قال النسابة العبيد لي «كانت زينب بنت علي وهي بالمدينة تؤلب النساء على القيام بأخذ ثأر الحسين وخلع يزيد»^(٤) .

(١) أعيان الشيعة - ج ١ - ص (٦١٧)

(٢) اللهوف - ص (١١٦)

(٣) مقتل الحسين - عبد الرزاق المكرم - ص (٤٧٢)

(٤) السيدة زينب - حسن محمد قاسم .

وقال محمد مهدي شمس الدين «دأبت زينب (ع) بعد وصولها الى المدينة على العمل للثورة وعلى تعبئة النفوس لها وتأليب الناس على حكم يزيد حتى لقد خاف عمر بن سعيد الأشدق والي يزيد على المدينة انتفاض الأمر فكتب الى يزيد عن نشاطها كتاباً قال فيه : ان وجودها بين أهل المدينة مهيج للخواطر وانها فصيحة عاقلة ، لبيبة ، وقد عزمت هي ومن معها علي القيام للأخذ بثأر الحسين ، فأتاه كتاب يزيد بأن يفرق بينها وبين الناس»^(١).

وهكذا أذكت الحوراء زينب (ع) نار الحقد في قلوب الجماهير على بني أمية وقلبت الأمور رأساً على عقب ، وحقت بفضل علمها واستقامتها وصمودها وحسن تدبيرها الهدف الذي قتل من اجله الحسين (ع) ، وهو سقوط الدولة الأموية حيث «لم يتم ليزيد عامه الأول حتى اعلنت المدينة ثورتها وتلتها مكة»^(٢) ، «وطرد الثائرون عامل يزيد والأمويين»^(٣).

أما بالنسبة للكوفة فقد غادرتها الحوراء زينب (ع) ونار الحقد تسري في قلوب أصحابها على حكومة بني أمية ، يوقدها الندم الشديد الذي أحدثته الحوراء زينب عليها السلام بفضل خطبها في ضمائرهم .

-
- (١) ثورة الحسين - محمد مهدي شمس الدين - ص(٢٦٩)
 (٢) زينب بنت الامام أمير المؤمنين (ع) - علي محمد علي دخيل - ص(٨).
 (٣) ثورة الامام الحسين (ع) - محمد مهدي شمس الدين - ص (٢٧٠)

وانطلقت نار الحقد فيهم تكبر يوماً بعد يوم ، ولم تمضِ خمس سنوات على خطابات زينب (ع) حتى ثار المختار بن أبي عبيدة الثقفي طالباً ثار الحسين وقطع رأس عبيد الله بن زياد ووضعه أمامه في قصر الامارة ، كما فعل برأس الحسين (ع) وتتبع كل من شارك في قتل الحسين فاستأصلهم ومثل بهم ، وقد كانت الشرارة الأولى التي انطلقت منها الثورة هي المطالبة بدم اهل البيت (ع) ، كما قال ابو الفداء في حوادث عام (٦٦) الجزء الأول صفحة (١٩٤) «في هذه السنة خرج المختار بالكوفة طالباً بثأر الحسين ، واجتمع اليه كثير ، واستولى على الكوفة وبايعه الناس بها على كتاب الله وسنة رسوله (ص) والطلب بدم اهل البيت»^(١) .

ولم تكن هذه الثورة هي الإنعكاس الوحيد لثورة الحسين (ع) ، والنتيجة اليتيمة لخطابات زينب (ع) ، بل انطلقت بعدها ثورات أخرى ، تأخذ امتدادها من ثورة الحسين (ع) ، وكل ذلك بفضل الحوراء زينب (ع) كثورة مطرق بن المغيرة بن شعبه في سنة (٧٧) على الحجاج بين يوسف حيث خلع عبد الملك بن مروان ، وثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في سنة (٨١) ، وثورة زيد بن علي بن الحسين (ع) في سنة (٢٢٢) ، وقد لقيت استجابة واسعة في الكوفة والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان ، ولقد كان حريا بثورته أن تنجح لولا اختلال التوقيت»^(٢) .

(١) تاريخ الشيعة - الشيخ محمد حسين المظفر - ص (٤٥)

(٢) ثورة الحسين (ع) محمد مهدي شمس الدين - ص (٢٨٣)

وهكذا كانت الحوراء زينب (ع) القدوة التي تعلم الرجال من سيرتها
ومواقفها الخالدة معاني الرجولة»^(١)
«وأدت دوراً كبيراً وهو القضاء على مؤامرة بني أمية»^(٢) .

وبقيت جذوة مشتعلة وموجة هادرة ، تضيء دروب العزة والكرامة ،
وبقيت صرخاتها المدوية وخطاباتها الملتهبة تثار لدم الحسين (ع) وتطيح بدولة
البغي فيما بعد .

(١) الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ - هاشم معروف الحسني - ص (٤٠٤)
(٢) عاشوراء تاريخ وآفاق - مكتب العقيدة والثقافة المركزي - ص (٤٩)

الفصل السابع

- زينب في معراج الخلود -

- وفاتها

- قبرها

- كرامات عند مقامها

- قصائد قيلت فيها

وفاتها

ما فتئت الحوراء زينب عليها السلام بعد واقعة الطف منهدة الركن ناحلة البدن متأوهة على فراق عزيزها الحسين (ع) في كل وقت ومناسبة وكأنها أمها الزهراء في بكائها على والدها الرسول (ص) .

ولم تعيش بعد فاجعة كربلاء أكثر من أربع سنوات على اختلاف الروايات ومن أشار الى وفاتها الشهرستاني حيث ساق خبر المجاعة التي أصابت المدينة ، فرحل عنها عبد الله بن جعفر بأهله الى الشام وحمّت العقيلة هناك ، وقد كانت عليلة محزونة لفقد الحسين (ع) ثم أشار الى وفاتها فقال (توفيت على أثر ذلك في نصف رجب سنة ٦٥هـ ودفنت حيث المزار المشهور^(١)) ، كما أشار الى ذلك أيضاً الشيخ فرج آل عمران القطيفي في وفاة زينب الكبرى صفحة ٥٤ حيث قال (توفيت في الشام في النصف من شهر رجب من العام الخامس والستين من الهجرة وهو عام المجاعة ، ودفنت في إحدى قرأه المعروفة برواية من غوطة دمشق ، وقد ذكر ذلك كثير من المؤرخين .

(١) هامشي نهضة الحسين - ص ٩١ .

والذي يهمننا ان العقيلة زينب (ع) لم ترحل عن هذه الدنيا حتى قلبت
الأمر على بني أمية ، وألبت الجماهير على دولة الظلم وثارت لدم الحسين
(ع) .

وهكذا تركت العقيلة ساحة المواجهة وهي في مخاض كبير ينبيء عن
عاصفة هوجاء تقتلع دولة البغي ، وتطيح بكل من لطخت يده بدم الحسين
(ع) .

وآن لها أن ترتاح عن كل تلکم المحن والآلام التي غمرت قلبها، وهذت
جنبها ، وجرعتها غصص الدهر .

قبرها

اختلف المؤرخون حول مرقد العقيلة زينب (ع) وذهبوا إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : انها دفنت بالمدينة المنورة ، ومستند هذا القول هو استصحاب القائلين دخولها بعد فاجعة كربلاء حيث لم يثبت عندهم خروجها منها ، وهذا القول هو أبعد الأقوال حيث أنه ثبت خروجها منها على ألسن المؤرخين بما لا يدع مجالاً للحصر ، وان اختلفوا في الوجهة التي قصدتها ، كما أنه لو كانت مدفونة بالمدينة لظهر لها مزار وأوردت لها زيارة ، كما وردت مزارات وزيارات لمن هم دونها في المكانة والشرف .

القول الثاني : انها دفنت بمصر ، ومال إلى هذا القول ثلثه من المؤرخين أمثال ابن عساكر وابن طولون والشعراني والشيخ محمد صبان والشبلنجي ، والشيخ حسن العدوي وغيرهم من علمائنا الأفاضل أمثال الشيخ جعفر النقدي .

ومنشأ قولهم هو استنادهم إلى روايات يحيى بن جعفر العبيدي وقد أكد
البحاثة الشيخ محمد حسين السابقي في كتابه مرقد العقيلة زينب (ع)
صفحة ٨٥ ان أكثر رواة العبيدي مجهولون ليس لهم تراجم في كتب الرجال
والتراجم والانساب وربما يكون منشأ الإشتباه في مرقد العقيلة زينب في مصر هو
تعدد المسميات بزينب من العلوية وغيرهم المدفونات بمصر ، والذهن أسرع
تبادراً عند سماع الأسم إلى أشهر الأفراد وأكملها والمسميات بزينب في مصر
كثيرة .

ومن المعلوم ان عادة العامة والخاصة منذ القديم انهم ينسبون العلويين
إلى رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) بلا واسطة ويريدون بذلك التبرجيل^(١)
وقد ظهر ذلك فعلاً حيث ذكر المقرئ في كتابه الخطط المقرئية في الجزء الثاني
صفحة ٢٨٩ وهو يعدد المشاهد المباركة عند أهل مصر ومنها قبر زينب بنت
أحمد بن جعفر بن محمد بن الحنفية وتسمية العامة مشهد السيدة زينب ، كما ذكر
البحاثة الشيخ محمد حسين السابقي في كتابه مرقد زينب صفحة ٢٠٣ - ٢٠٤
ان جملة من قبور العلويين كتب على ألواحها في الدولة الفاطمية أنهم أولاد علي
لصلبه ، منها رقية بنت عبد الله بن أحمد بن الحسين الحسينية كتبوا على قبرها
«هذا ضريح السيدة رقية بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» وكتبوا على قبر
السيدة زينب بنت يحيى المتوج مشهد السيدة الطاهرة بنت الزهراء البتول بنت
علي بن أبي طالب .

(١) مرقد العقيلة زينب - البحاثة الشيخ محمد حسين السابقي - ص ٥٤ .

وكما مال بعض المؤرخين إلى أن قبر العقيلة زينب في مصر فقد أعرض كثير من المؤرخين عن هذا القول أمثال ابن الزيان الأنصاري ، والحافظ السخاوي ونور الدين السخاوي وابن ظهيرة المصري ، وابن الناسخ المصري ، والحافظ السيوطي وابن دقمان المصري وابن تغري بردي وابن ميسر المصري .

القول الثالث : انها دفنت في قرية راوية بغوطة دمشق ولهذا القول ذهب جل المؤرخين وقد وردت عليه أدلة كثيرة منها :

أولاً : ذهب أكثر العلماء والمحققين في تراجعهم إلى أن قبر العقيلة زينب(ع) بنت أمير المؤمنين(ع) في قرية راوية في الشام، ومنهم الحافظ الذهبي في كتابه تجريد أسماء الصحابة الجزء الثاني صفحة ٢٨٨ وابن بطوطة في كتابه رحلة ابن بطوطة الجزء الأول صفحة ٦١ ، وأبو البقاء البدرى المصري في كتابه نزهة الأنام ومحاسن الشام صفحة ٣٧٤ - ٣٨١ ، والقاضي نور الدين العدوي الشافعي في كتابه الزيارات ، صفحة ٢١ وغيرهم كثير لا مجال لحصرهم في هذا المختصر .

ثانياً : ذهب أغلب علماء الشيعة الإمامية الى أن قبر العقيلة زينب في قرية راوية في الشام ، ومنهم ليس على سبيل الحصر الشيخ حسن اليزدي الحائري في كتابه أنوار الشهادة صفحة ١٢١ ، والميرز حسن خان المراغي في كتابه «الخيرات الحسان» في الجزء الثاني صفحة ٢٩ والعلامة السيد جعفر بحر العلوم في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الرابع صفحة ١٣٨ والسيد حسن الصدر الكاظمي في كتاب نزهة أهل الحرمين صفحة ٣٩ والشيخ محمد

حرز الدين النجفي في كتاب معارف الرجال الجزء الأول صفحة ٢٤٠ والعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتاب عقيلة الوحي صفحة ١٦ والشيخ هاشم الخراساني في كتاب منتخب التواريخ صفحة ١٠٣ والعلامة السيد عبد الجواد الكلیدار في كتاب تاريخ كربلاء صفحة ٩٢ والسيد ابراهيم الموسوي الزنجاني في كتاب عقائد الامامية الاثنى عشرية الجزء الأول صفحة ١٣٩ ، والسيد جواد شبر في كتاب أدب الطف الجزء الأول صفحة ٣٦ .

ثالثاً : وجود قبر جارية الزهراء (ع) فضة والتي لم تتخل عن ملازمتها للحوراء زينب عليها السلام حتى في كربلاء فتعرضت معها للسبي ، كما ذكر ذلك كثير من العلماء والكتاب ومنهم السيد عبد الحسين العاملي في كتاب المفيد في ذكرى السبط الشهيد صفحة ١٢ ووجود قبرها في الشام يدل على أن قبر العقيلة زينب (ع) في الشام أيضاً حيث كانت ملازمة لها في أشد المحن وأشق السفرات ، فكيف تتخلى عنها بعد ذلك ولم تذهب معها الى مصر . وأما وجود قبر فضة في الشام فهو ثابت اجماعاً وبدون خلاف ، كما أشار اليه جميع من تطرق الى قبور شخصيات أهل الشام ، ومنهم خليل الأزهري في كتاب زبدة كشف الممالك صفحة ٤٨ ، وأحمد فهمي في كتاب كريمة الدارين صفحة ٢٦ ، وعثمان الحوراني في كتاب الاشارات صفحة ١٨ ، وشهاب الحموي في معجم البلدان الجزء الثاني صفحة ٤٦٨ وغيرهم .

رابعاً : أشار أمام العصر والزمان أرواح العالمين لمقدمه الفداء الامام

القائم المنتظر الى ان هذا المقام الذي في قرية راوية بالشام هو مقام العقيلة زينب الكبرى بنت الامام أمير المؤمنين (ع) في الزيارة المفجعة صفحة (٣٧) .

وبعد هذه الأدلة يكون مما لا غبار عليه ولا مشاحة فيه ان قبر العقيلة زينب عليها السلام في قرية راوية بالشام .

ولئن كان هناك من الأمم من يدعي وجود قبرها في أرضها ، فان ذلك يدل دلالة واضحة على عظمة هذه المرأة وعلو مكانتها فكلما مر الزمان ظهرت في شخصية هذه المرأة العظيمة معالم خفيت على الرعيل الأول ومنها مثلاً ، صدق نبؤاتها حيث تنبثت في مجلس يزيد بأنه لن يستطيع أن يحوا ذكرهم حيث قالت (فوالله لا تمحو ذكرنا) وقد صدقت حيث دُرس يزيد وانخسف بالأرض قبره وبقيت هي وآلها مناراً للأجيال ، وبقي قبرها محطاً لآلاف الزائرين الذين يقصدونها من شتى أقطار الأرض ليصلوا تحت قبتها السامقة .

كرامات عند مقامها

أصبح مقام العقيلة زينب عليها السلام مقصداً لكل ذي حاجة قاهرة
أعيت صاحبها ومحطاً لأصحاب الأسقام التي عجز عنها الأطباء وتحيروا في
شفائها بعد أن ظهرت معاجز وكرامات كثيرة شفي بها كثير من المرضى وطار
خبرها في البلدان . ومن تلك المعاجز :

١ - شفاء عليل عجز عنه الأطباء :

جاء في جريدة الزمان الدمشقية عندما نشرت خبر وصول القفص الفضي
من كراتشي عاصمة باكستان الذي أهده محمد علي حبيب أحد وجهاء كراتشي
أنه سبقت للهدية قصه عجيبة ، إذ أن للسيد محمد علي حبيب ولداً واحداً أصيب
بالشلل وعالجه أبوه في أعظم مستشفيات أوروبا لدى أمهر أطبائها لكن المشلول
لم يشف ، ومنذ عامين في طريق عودة الوالد من إحدى جولاته في أوروبا ، مرَّ
بدمشق وزار قبر السيدة زينب ، وقضى ليلة الليل في باحة الضريح وأخذ
يبتهل إلى الله أن يشفي ابنه الوحيد ، وفي الصباح غادر المكان ، وقد علق
بذهنه تاريخ تلك الليلة التي قضاه إلى جانب حفيدة الرسول الكريمة (ع)
وعندما وصل إلى كراتشي كان أهله في استقباله ، فكان أول سؤاله عن ولده

المشلول المقعد ، وعرضت له دهشة عظيمة عندما قالوا له أنه قد شفي وهو يقضي دور النقاهة في إحدى ضواحي العاصمة ، فأراد أن يستمع القصة بأسرها فقالوا له أن - ذات ليلة وهي نفس الليلة التي قضاها عند ضريح العقيلة زينب (ع) - شعر بقوة في قدميه فحركهما ، ثم حاول أن يهبط عن السرير إلى الأرض ليقف على قدميه فنادى أمه والخدام فهرعوا إليه ، وسار بمعونتهم وكان فرح الأم شديداً لأن ولدها أخذ يمشي على قدميه طوال النهار ، فلما التقى الوالد بولده فرآه سليماً يمشي كما يمشي الصحيح من الناس بعدما علم عجز كافة الأطباء عن معالجته ، وأيقن أن الشفاء نزل في نفس الليلة التي كان توسل فيها إلى الله ، فعزم أن يقدم هدية ثمينة تليق بصاحبة المرقد الشريف فصنع هذا القفص الثمين .

ونشرت هذا الخبر مجلة الغري النجفية في عددها الثالث من سنتها

. (١)١٥ .

٢ - شفاء امرأة مقعدة ببركة العقيلة (ع) :

ظهرت هذه الكرامة للسيدة زينب بنت أمير المؤمنين بالشام ، وذلك أن امرأة اسمها فوزية بنت سليم زيدان في لبنان في قرية جويّا - قرب صور وكانت فوزية مقعدة ومصابة بالروماتزم مدة ثلاث عشرة سنة ولم ينفعها علاج الأطباء فقالت لأخيها حسن : احملني إلى قبر السيدة زينب إلى الشام فاعتذر منها لأن نقلها لم يكن هيناً مع ما هي عليه من شدة المرض ، فقالت أنا أستأجر امرأتين

(١) كتاب مرقد العقيلة زينب السابق ص (٢١٩) .

تحمّلاني إليها ، قال لها أخوها إذا كتب لك الشفاء ، فلا فرق أن تكوني في بيتك ههنا أو في حرم السيدة زينب في قرية راوية بدمشق ، وصادف المحرم وهناك ماتم في المسجد المقابل لدارهم ، فرجعت فوزية وجلست على الباب المقابل للمسجد وهي تبكي وتستغيث بالسيدة وتصرخ يا مولاتي يا أخت الحسين يا مظلومة ، وكانت أمها تصر عليها بالسكوت وأمرتها أن ترجع ، ولكنها أبت وقالت لا أرجع إلا بعد منتصف الليل فتركها الأم ، ونامت فوزية جالسة في مكانها تندب وتنادي مولاتها العقيلة زينب وتطلب منها الشفاء ، وعند طلوع الفجر تهبّات للصلاة ، فإذا بإمرأة دخلت وأخذت بعضدها وقالت لها قفي على قدميك أنا زينب بنت علي بن أبي طالب يقول لك أخوك إذا شاءت تشفيك زينب في دارك فإننا لا نشفي أحداً إلا بأذن الله .

قالت فوزية فإذا كافي أحسست بالعصب في الركبة والوركين فوقعت ثم إنها نادى أمها يا أماء هذه السيدة زينب ، ولم تنتبه الأم ، ثم نادى مرة أخرى ، فركضت إليها الأم فإذا المرأة غابت ، فأصرت فوزية أن تذهب إلى بيت أخيها الحسن وتخبره بالشفاء ، فقامت تمشي سليمة على قدميها إلى بيت أخيها وطرقت الباب عند طلوع الشمس فانتبه هو وقال الصوت صوت فوزية فقام مع زوجته وهي بنت السيد نور الدين ، فلما فتح الباب ، ورأى الأخت فاندesh وقال أختي لا تسقطي على الأرض فقالت لا بأس يا أخي فقد أبرأتني السيدة زينب ، فتعجب أخوها ، وسرّ سروراً عظيماً ، ثم شاع خبرها في القرية وقصدها الناس يروها سليمة ، وانتشر أمرها إلى القرى فتقاطر عليها المحاشد

وزارها طبيبها ابراهيم صالح والدكتور عطية وهو يهودي فشاهدها وتعجبا حتى قال الدكتور عطية أنها شككتنا في ديننا ، وزارها دكتور مستشفى صور الذي كان يعالجها كل أسبوع بإبرة ، فتعجب أشد تعجب . قال الشيخ ابراهيم سليان ، نشرت صحف لبنان هذا الخبر^(١) .

(١) أعيان النساء - الحكيمي - ص (١٧٢ - ١٧٣) .

قصائد قيلت فيها

قصيدة للشيخ مهدي مطر المتوفي سنة (١٣٩٥)

ياريشة القلم إستفزي واكتبي	هل كان هزك مثل موقف زينب
هل أنت شاهدة عشية صرعت	منها الحماة ضحى حماة المواكب
وقفت عليهم كالأضاحي صرعوا	من كل طلاع الثنية أغلب
هل هزها هذا المقام وهالها	كلا فرشد ثابت لم يعزب
أبت النبوة أن ترى أبناءها	مخدولة وكذا أبت بنت النبي
يابنت مقتحم الحصون وقالع	الباب الحصين بعزمه المتوثب
لك من مقام الفاتحين تمنع	لولاه عرش أمية لم يُقلب
فببعض يوم وقفة لك هدمت	ماقد بنته أمية في أحقب
أن أوقفوك من الأسارى بمجلس	لعب الغرور بوغده المتغلب
فلقد فضحت عقيدة مستورة	فيهم وعت ريبة المريب
وأريتهم نفساً تعاضم قدرها	حتى استهان بحكمهم والمنصب
مالطهر تنبها كلاب أمية	كالرجس تنبها كلاب الخوَاب
عجي أمية ماحيتم حسرة	(كعجيج نسوتكم غداة الأرنب)

ولئن ظفرتم بعض يوم انها
فقد انزوت عنك الإمارة وانطوت
ولقد شجاني منك يا ابنة أحمد
يوم وقفت من الحسين به على
وحيت شمالاً من نساء ذعرت
لهزيمة ذهبت بعزك فاذهبي
أيامها فارضي لذاك أو اغضبي
يوم متى يخطر لعين تسكب
متجدد دامي الوريد مخضب
لا يهتدين من الذهول لمهرب^(١)

قصيدة للشيخ حسن مرتضى الكاظمي

هي المثل الأعلى لكل فضيلة
وكم أعجزت في مدحها كل شاعر
فمن جدها أو من أبوها وأمها
قد اكتسبت أخلاقهم وتأدبت
مباركة في كل أرض تحلها
لقد أودعت أسرار آل محمد
تفوق نساء العالمين شجاعة
ولله من قلب تحمل ثقلها
وما حصرت في خطبة يوم روعها
لقد حملت يوم الطفوف رسالة
لها وقفات صامدات صليبة
ولم نر مغلوباً على كل أمره
وفي فضلها الأمثال في الناس تضرب
وإن كان يعلو الشعر فيه ويعذب
ومن أخوها حين تنمى وتنسب
بآدابهم يانعم هذا التأدب
فتخضر منها الأرض يمناً وتخضب
فتأخذ منها كل علم وتكسب
ومنها رجال العالمين تعجبوا
ولو حل قلباً دونه يتشعب
ويحصر يوم الروع من فيه يخطب
ينوء بها حملاً سواها وينصب
أشد من الطود العظيم وأصلب
يغالب بالقول العدو فيغلب

(١) أدب الطف - الجزء (١٠) - ص (٢٩٠).

لقد أنشبت حرباً عليهم طويلة
ولو لم يكن إقدامها وجهادها
ويعجب من إقدامها كل معشر
لهم كل يوم في السماء مآتم
فطوبى لأرض الشام حيث تنزلت
تحل بها من نسوة الوحي حرة
وتختلف الزوار نحو مزارها
فلافاته روح من الله طيب

مداها وما زالت مدى الدهر تنشب
لما كان شيء للوقعة ينسب
ولا عجب منه إذا منه يعجب
تقام وفي الأرض المناحات تنصب
بها بركات تربها ليس يجذب
مباركة ميمونة هي (زينب)
تحيي إليه كل يوم وتذهب
ولا جازه قطر من السحب صيب^(١)

(١) عقيلة بني هاشم - علي الخطيب - ص (٥٩)

المصادر

- ١ - القرآن الكريم
 - ٢ - نهج البلاغة
 - ٣ - ميزان الحكمة
 - ٤ - بحار الأنوار
 - ٥ - وسائل الشيعة
 - ٦ - الأخلاق الإسلامية
 - ٧ - تفسير البرهان
 - ٨ - من هدى القرآن
 - ٩ - تفسير الدر المنثور
 - ١٠ - الكامل في التاريخ
 - ١١ - ماذا في التاريخ
 - ١٢ - تاريخ ابن عساكر
 - ١٣ - الحقائق في تاريخ الإسلام
 - ١٤ - تاريخ الخلفاء
 - ١٥ - الحقائق في تاريخ الإسلام والفتن والأحداث
- الدكتور حسين . ت . ص .

الامام أمير المؤمنين (ع)
محمد الري شهري
المجلسي
الحر العاملي
الحسيني
هاشم البحراني
العلامة المدرسي
السيوطي
ابن الأثير
القبيسي
ابن عساكر
حسين المصطفوي
جلال الدين السيوطي

- اليقوي ١٦ - تاريخ اليقوي
- القرماني ١٧ - تاريخ القرماني
- الشيخ محمد حسين المظفر ١٨ - تاريخ الشيعة
- رضا حسين صبح ١٩ - السيدة زينب في الوجدان الشعبي
- العلامة جعفر النقدي ٢٠ - زينب الكبرى
- علي الخطيب ٢١ - عقيلة بني هاشم
- محمد بحر العلوم ٢٢ - في رحاب السيدة زينب
- ابراهيم محمد خليفة ٢٣ - في رحاب بطلة الكربلاء
- بنت الشاطيء ٢٤ - السيدة زينب
- الشيخ فرج آل عمران ٢٥ - وفاة زينب الكبرى
- حبيب آل جميع ٢٦ - زينب بطولة وجهاد
- حسن محمد قاسم ٢٧ - السيدة زينب
- علي دخيل ٢٨ - زينب بنت أمير المؤمنين
- عبد العزيز الكرم ومحمود الصمادي ٢٩ - زينب بنت علي بن ابي طالب
- عبد العزيز سيد الأهل ٣٠ - زينب عقيلة بني هاشم
- محمد علي أسبر ٣١ - أجداد رسول الله
- محمد تقي فلسفي ٣٢ - الطفل بين الوراثة والتربية
- القندوزي ٣٣ - ينابيع المودة
- الهندي ٣٤ - كنز العمال
- أحمد بن حنبل ٣٥ - مسند أحمد بن حنبل

- ٣٦ - المفيد في ذكرى السبط الشهيد عبد الحسين العاملي
- ٣٧ - يوميات فاطمة الزهراء أحمد الكاتب
- ٣٨ - فاطمة الزهراء قدوة وأسوة العلامة محمد تقي المدرسي
- ٣٩ - معالم الدين في الأصول حسن بن زين الدين العاملي
- ٤٠ - لقمان الحكيم العلامة الشيخ منصور المرهون
- ٤١ - مجلة أهل البيت عدد ٣ / ١٤١٣ هـ
- ٤٢ - الدعاء العلامة محمد تقي المدرسي
- ٤٣ - تحف العقول أبو محمد الحسن بن شعبة الخراي
- ٤٤ - كتاب الحياة محمد رضا الحكيمي ومحمد الحكيمي وعلي الحكيمي
- ٤٥ - زاد المبلغين محسن عطوي
- ٤٦ - الامام علي من المهدي إلى اللحد السيد محمد كاظم القزويني
- ٤٧ - سفينة البحار الشيخ عباس القمي
- ٤٨ - أعيان الشيعة السيد محسن الأميني
- ٤٩ - تنقيح المقال المامقاني
- ٥٠ - مقاتل الطالبين أبي الفرج الأصفهاني
- ٥١ - أبو طالب
- ٥٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة عز الدين علي بن محمد الجزري
- ٥٣ - شهداء الاسلام في عهد النبوة الدكتور علي سامي النشار
- ٥٤ - حياة الامام الحسن بن علي (ع) باقر شريف القرشي
- ٥٥ - حياة الامام الحسين (ع) باقر شريف القرشي

- ٥٦ - الإصابة في تميز الصحابة
 شهاب الدين أحمد بن حجر
- ٧٥ - حياة الصحابة
 محمد يوسف الكاند هلوي
- ٥٨ - الغارات
 ابن هلال الثقفي
- ٥٩ - تاريخ الشام
 ابن عساكر
- ٦٠ - مع بطله كربلاء
 محمد جواد مغنية
- ٦١ - شرح النهج
 ابن أبي الحديد
- ٦٢ - الغدير والسقيفة
 ابراهيم خليفة
- ٦٣ - أبو ذو الغفاري
 محمد آل فقيه
- ٦٤ - عمار بن ياسر
 صدر الدين شرف الدين
- ٦٥ - العقد الفريد
 ابن عبد ربه الأندلسي
- ٦٦ - سيرة الأئمة الاثني عشر
 هاشم معروف الحسني
- ٦٧ - الامامة والسياسة
 ابن قتيبة
- ٦٨ - المنجد في اللغة
 الطبعة الحادية والعشرون
- ٦٩ - في رحاب أئمة أهل البيت
 السيد محسن الأميني
- ٧٠ - مروج الذهب
 المسعودي
- ٧١ - مأساة الحسين بين السائل والمجيب
 الشيخ عبد الوهاب الكاشي
- ٧٢ - عيد الغدير
 بولس سلامة
- ٧٣ - البداية والنهاية
 ابن كثير
- ٧٤ - عوالم الحسين
 الشيخ عبد الله البحراني
- ٧٥ - عاشوراء
 السيد هادي المدرسي

- ٧٦ - الحسين في الفكر المسيحي
 ٧٧ - ابو الشهداء الحسين بن علي
 ٧٨ - مقتل الحسين
 ٧٩ - وسيلة الدارين
 ٨٠ - مقتل أبي مخنف
 ٨١ - نهج الشهادة
 ٨٢ - نفس المهموم
 ٨٣ - رياض المصائب
 ٨٤ - مأساة احدى وستين
 ٨٥ - الصواعق المحرقة
 ٨٦ - مقتل الامام الحسين
 ٨٧ - كامل الزيارات
 ٨٨ - مقتل الحسين (ع)
 ٨٩ - الدمعة الساكبة
 ٩٠ - اسرار الشهادة
 ٩١ - أخبار الدول
 ٩٢ - نساء هن في التاريخ الاسلامي نصيب
 ٩٣ - فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد
 ٩٤ - تراجم أعلام النساء
 ٩٥ - شرح الشمائل
- انطوان بارا
 عباس محمود العقاد
 الخوارزمي
 السيد ابراهيم الزنجاني
 ابي مخنف
 السيد مرتضى الحسيني
 عبد الحسن العاملي
 ابن حجر
 الشيخ عبد الزهراء الكعبي
 ابن قولويه
 عبد الرزاق المكرم
 البهبهاني
 لأبي العباس القرماني
 الدكتور علي ابراهيم
 السيد محمد كاظم القزويني
 الأعلمي
 القاري

القسطلاني	٩٦ - إرشاد الساري
لابن حجر	٩٧ - الفتاوى الفقهية
محمد جواد مغنية	٩٨ - فضائل الامام علي (ع)
السيد نور الدين الجزائري	٩٩ - الخصائص الزينية
الحكيمي	١٠٠ - أعيان النساء
المقريزي	١٠١ - الخطط المقرينية
الخوارزمي	١٠٢ - مقتل الحسين
عبد الرزاق المكرم	١٠٣ - مقتل الحسين (ع)
أسد حيدر	١٠٤ - مع الحسين في نهضته
البيروني	١٠٥ - الآثار الباقية
ابن نما	١٠٦ - مثير الأحزان
ابن حوقل	١٠٧ - صورة الأرض
الآلوسي	١٠٨ - روح المعاني
هاشم معروف الحسني	١٠٩ - الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ
محمد مهدي شمس الدين	١١٠ - ثورة الحسين (ع)
مكتب العقيدة والثقافة المركزية	١١١ - عاشوراء تاريخ وآفاق
السابقي	١١٢ - مرقد العقيلة زينب
جواد شبر	١١٣ - أدب الطف
العدد الثاني عشر (الطريحي)	١١٤ - مجلة الموسم

- الفهرس -

٧	الاهداء
١١	المقدمة
١٧	الفصل الأول :
١٩	زينب في اصلااب الانبياء
٢٥	زينب في بيت العصمة
٢٨	اشكال ورد
٣٧	زينب في مجتمع المدينة
٤٣	زينب والتجارب الاولى
٥٣	الفصل الثاني :
٥٥	ضرورة التصدي ومؤهلاته
٥٦	مؤهلات التصدي
٥٩	زينب والايان بالله
٦٥	زينب تضع برنامجاً للايمان
٧٣	زينب والعلم والمعرفة
٧٥	علم المرأة المتصدية

زینب بین الحجاب والتصدي ٨١

الفصل الثالث :

الزواج المبارك ٩١

ملك كنده يخطب العقيلة ٩٣

جعفر بن أبي طالب ٩٦

اسماء بنت عميس ٩٨

عبد الله بن جعفر ١٠٠

سखाؤه وكرمه ١٠٢

مكانته الاجتماعية ١٠٥

الفصل الرابع :

زینب والاستفادة من الأحداث ١١١

خلافة عثمان ١١٥

اغتيال عثمان ١١٧

خلافة أمير المؤمنين (ع) ١٢٠

وقعة الجمل ١٢١

وقعة صفين ١٢٦

وقعة النهروان ١٢٨

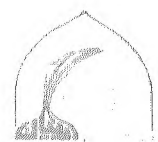
اغتيال الإمام على (ع) ١٢٨

اغتيال الإمام الحسن (ع) ١٣١

خلافة يزيد ١٣٢

اشكال ورد ١٤٥

١٥٣	الفصل الخامس :
١٥٥	زينب في كربلاء
١٧٥	الفصل السادس :
	زينب وعلان المظلومية
١٧٧	زينب في الكوفة
١٨٩	زينب في الشام
١٩١	كفر يزيد
١٩٩	زينب في المدينة
	الفصل السابع :
٢٠٥	زينب في معراج الخلود
٢٠٧	وفاتها
٢٠٩	قبرها
٢١٥	كرامات عند مقامها
٢١٥	شفاء عليل عجز عنه الأطباء
٢١٦	شفاء امرأة معقده ببركة العقيلة
٢١٩	قصائد قيلت فيها
٢١٩	قصيدة للشيخ مهدي مطر
٢٢٠	قصيدة للشيخ حسن الكاظمي
٢٢٣	المصادر
٢٢٩	الفهرس



دار الحجاب القديم